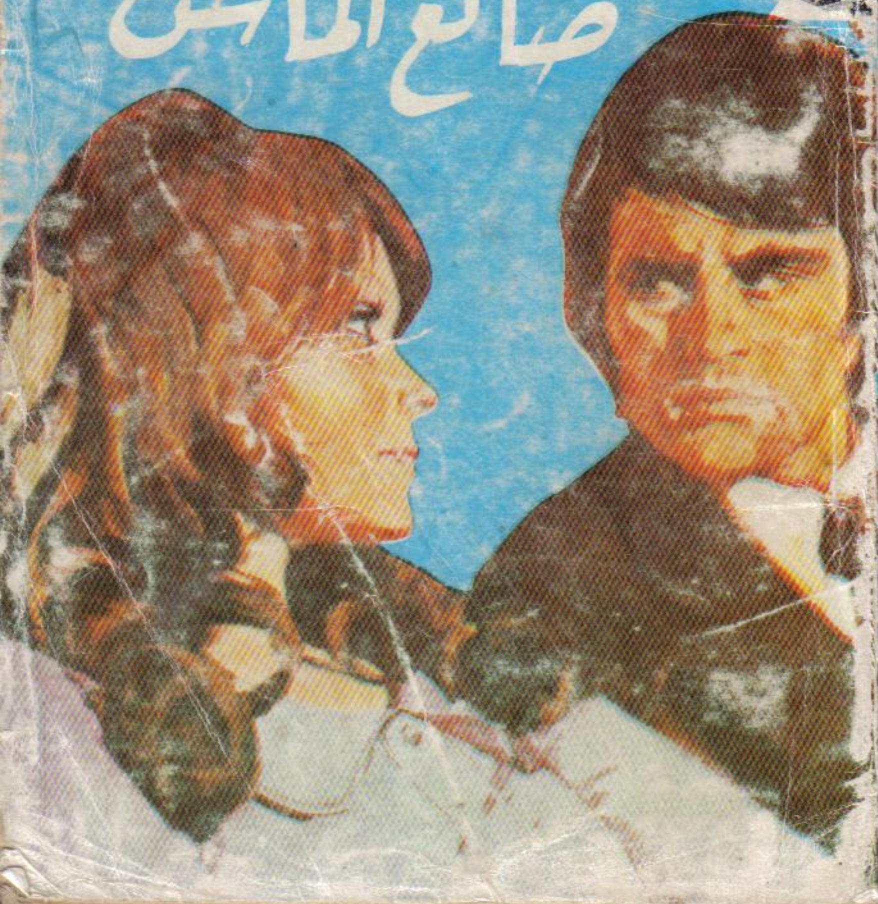
مغامرات

أرسين لوبين

صانع الماس



١ ـ صانع الماس

كان من رأى لويس فالون أن فى استطاعة الانسان متى وضع يده على قطعة كبيرة من الماس الخام تساوى خمسمئة من الجنيهات مثلا أن يجعل منها نواة لمنجم ماس كبير فى أفريقيا أو أمريكا الجنوبية .. وأن تباع أسهم هذا المنجم بمئات الآلاف من الجنيهات تذهب كلها الى جيبه . فلا يبقى للمساهمين سوى الامل اللامع البراق .

وعلى هذا الاساس قصد لويس فالون الى حانوت صديقه الجواهرجى سلمون ، وهو رجل معروف بأنه يبتاع الحلى والمجوهرات من أناس معينين لا يهمهم كثيرا أن يحصلوا على الثمن الحقيقى للمجوهرات التى يحملونها اليه .. لانهم لم يبتاعوها .. ولم يرثوها عن آبائهم وأجدادهم .

قال لويس فالون لصديقه الجوهرى بعد أن حياة :

ـ اننى بحاجة الى قطعة من الماس الخام ، بشرط أن تكون من أنقى الماسات ، والثمن الذى أستطيع أن أدفعه فى الوقت الحاضر لايتجاوز مئة من الجنيهات . فابحث فى بضاعتك عن الماسة الجيدة التى تستطيع أن تقدمها الى .. لاننى سأبدأ بها مشروعا عظيما أرجو أن يدر على ربحا وفيرا.

فقال سلمون :

ـ ان مئة من الجنيهات مبلغ تافه لايكاد يصلح ثمنا لماسة محترمة وأعتقد أنه لاتوجد فى حانوتى ماسة بمثل هذا الثمن .

وبعد بحث استغرق نصف ساعة قدم سلمون الى صديقه لويس فالون قطعة من الماس الخام .

وبدأت بين الاثنين مساومة انتهت بأن أخذ سلمون مئة وخمسين من الجنيهات وضعها فى جيبه وهو كاره . لأن الماسة كانت فى نظره تساوى خمسمئة من الجنيهات وان يكن فى الواقع دفع ثمنها ثلاثين فقط .

قال سلمون محدثا صديقه :

ـ اننى أعتبر هذه الصفقة هدية بالنسبة اليك .

فأجاب لويس فالون :

ـ انك بعتنى الآن منجما من الماس .. بل منجما من الذهب .. وسوف ترى كيف أستثمر هذا المنجم .

ان المسألة لاتحتاج لاكثر من الالمام بنفسية الناس ومعرفة عقليتهم لكى يتمكن الانسان من تحويل هذه الماسة البديعة الى منجم .

وانصرف لويس فالون ، والماسة فى يده ، وأخذ يسير فى شارع (درويه) وهو يتفرس فى وجوه المارة تمهيدا لتطبيق نظرياته ، وآرائه عن (السيكولوجى) وعلم النفس .

كان يعلم أن شارع (درويه) هو من الشوارع المعدودة فى باريس التى لايقابل فيها الانسان الا ذوى اليسار الذين يقضون أكثر ساعات الصباح فى شهود واجهات المخازن والمتاجر ، وهو كذلك من الشوارع التى يرتادها المنحلون والنشالون بصفة خاصة .

ورأى لويس فالون رجلا طويلا القامة نحيفها ، يسير على افريز الشارع بقلة اكتراث ، وهو يلوح بعصاه ذات اليمين وذات اليسار ، وفى فمه سيجار من النوع الفاخر . فصعده بنظره عن بعد . وقرر أن هذا الرجل هو ضالته المنشودة .

كان الرجل الآخر مقبلا نحوه . فسار لويس فالون فى

اتجاهه ، والماسة لاتزال فى يده ، وتظاهر بأنه يشهد معروضات أحد المتاجر .

وأحس الرجل الآخر بأن لويس فالون يوشك أن يصطدم به .. فانحرف فى سيره قليلا ...

والظاهر أن لويس فالون أحس كذلك بأنه يوشك أن يصطدم بالرجل الآخر .. لأنه انحرف فى ذات اللحظة مع الرجل الآخر .. وكان انحرافه الى ذات الناحية التى انحرف فيها (ضالته المنشودة) فكانت النتيجة أن وقع الصدام .. وسقط من يد لويس فالون شىء تدحرج تحت قدمى الآخر ، وتألق تحت ضوء الشمس تألقا لفت نظر ضالته المنشودة .

تمتم لويس فالون بضع كلمات على سبيل الاعتذار ، وانحنى فى الحال ليبحث عن الشىء الذى سقط منه .

ورأى الرجل الآخر أن من اللياقة أن يتريث فى مشيته.. وأن يجيل البصر حوله فى البحث عن الشىء الذى سقط .

وما لبث لويس فالون أن التقط ذلك الشىء واعتدل واقفا وهو يتنهد ويقول محدثا الرجل الاخر :

آه .. شكرا لله .. لقد وجدتها .. هل رأيت ؟ ! انها أوشكت أن تسقط فى أنابيب المجارى ، ولو تدحرجت قليلا ...

ولم يتم جملته .. بل رفع الماسة بين أصابعه واستطرد:

ـ يا الله .. لقد خشيت أن تفقد ..

ورأى الرجل الآخر تلك الماسة الكبيرة البديعة ، فقال على سبيل المجاملة :

ـ لحسن حظك أنها لم تسقط فى المجارى .

فهز لويس فالون رأسه وقال بحزن :

ـ أتحدثنى عن حسن الحظ ؟ اننى أتعس مخلوق على هذه الارض .
فقال الرجل الآخر :
ـ هذا مما يؤسف له .
واستطرد لويس فالون بلهجة المريض المشرف الذى يتهم بأن صحته على غاية ما يرام :
ـ أتحدثنى عن حسن الحظ .. ؟ اننى من سوء الحظ والنحس بحيث اذا أبصرت على الارض بورقة مالية وانحنيت لالتقاطها زلت قدمى ودق عنقى .
ولاحظ الرجل الآخر من وجه لويس فالون أن محدثه متبرم بسوء حظه حقا : فقال على سبيل العزاء :
ـ الواقع أن فى العالم أناسا من هذا الطراز ، فقد كانت لى عمة ..
ولكن لويس فالون لم يكن يهتم بعمات الناس ، فقاطع محدثه بأن راح يقول فى لهجة خطابية :
ـ تتكلم عن حسن الحظ ؟ اننى فى هذه اللحظة أتعس مخلوق فى باريس .. بل فى العالم كله .
ثم أمسك بساعد الرجل الآخر كما يمسك الغريق بقطعة من القش واستطرد :
ـ أصغ الى .. اننى أرى على وجهك مخائل الذكاء .. ويخيل الى أنك الرجل الذى يستطيع أن يتعاون معى ويأخذ بيدى .
فأجاب الرجل الآخر بعد تردد بسيط :
ـ اننى رهن اشارتك .
وكان لويس فالون ممن يؤمنون بفضل المشروبات الروحية فى ابرام الاتفاقات المستعصية .. فقال لمحدثه :

ـ شكرا لك .. انك رجل جم الأدب . هل لك فى تناول كأس من الشراب .. ؟
ان الكلام على قارعة الطريق لا يليق برجلين مثلنا .. هلم بنا .
واقتاد محدثه الى مشرب فاخر قريب من المكان الذى جمعتهما فيه تلك (الصدفة) المدبرة .. وما هى الا بضع دقائق حتى كان الاثنان يتناولان النبيذ .. ويستأنفان حديثهما . قال لويس فالون :
ـ يجب قبل كل شىء أن أعرف اسمك .. اننى تشرفت بمعرفتك منذ لحظة بطريق الصدفة ، ولكنى أشعر كأننى أعرفك منذ عشرات السنوات .
فأجاب الرجل الآخر :
ـ لا أعتقد أن اسمى يفيدك كثيرا . ولكن ما دمت تصر على معرفته فأنا ادعى جيمس بارنيت ..
فشد لويس فالون على يد بارنيت بحرارة وقال :
ـ يسرنى أن أعرفك يا مسيو بارنيت . والآن لنتحدث فيما كنا بصدده .. كنت أقول لك اننى أتعس وأنحس مخلوق قابلته فى حياتك .. أرأيت تلك الماسة التى سقطت من يدى عندما تقابلنا ؟
فأجاب بارنيت :
ـ طبعا رأيتها . لقد كانت لألأتها تلفت النظر .
فدس فالون يده فى جيبه وأخرج الماسة ووضعها على المائدة وقال : ـ لقد صنعتها بنفسى .
فنظر بارنيت الى الماسة ، ثم الى فالون ، وارتسمت فى عينيه علامات الدهشة التى لا مناص منها فى مثل هذا

الموقف ، وهتف :

ـ ماذا تعنى ؟ أنت صنعت هذه الماسة ؟ !

فأجاب فالون فى هدوء :

ـ نعم ٠٠ اننى صنعتها قطعة من الماس الاصطناعى الذى يفكر العلماء والكيميائيون فيه منذ قرون٠٠وقد استغرق منى صنعها نصف ساعة ٠٠ وبلغت نفقات صنعها ثلاثة فرنكات ٠٠ بيد انه لا توجد فى كل فرنسا بل فى العالم أجمع أى خبير من خبراء الماس لا يقول لك بلهجة التأكيد انها ماسة حقيقية مستخرجة من مناجم الماس فى جنوب أفريقيا ٠

ـ اذهب بها بنفسك الى أى جوهرى فيقسم لك أنها ماسة حقيقية لاشك فيها فسأله بارنييت :

ـ هل تعنى أنها ماسة زائفة ؟

فضرب فالون المائدة بقبضته وصاح :

ـ ماسة زائفة ؟ أبدا ٠ انها حقيقية بكل ما فى الكلمة من معنى ٠٠ حقيقية كأية ماسة تباع الآن فى سوق الماس بأربعمئة أو خمسمئة جنيه ٠٠ والفارق الوحيد هو أن الماسات الحقيقية المعروضة للبيع قد استخرجت من مناجم الماس ، اما هذه الماسة فاننى صنعتها بنفسى ٠

ـ هل تعلم كيف يصنع الماس ؟

ولم يكن ثمة شك فى أن بارنييت قد قرأ فى الكتب كيف ينتج الماس وكيف يستخرج من المناجم ، بيد أنه لاحظ أن محدثه يحب الكلام ، ويجب أن يملك ناصية الحديث ، فلم يشأ أن ينكر عليه لذة الثرثرة ، فهز رأسه وقال :

ـ لا أعلم ذلك على وجه التحقيق ، كل ما أعلمه أن الماس ينتج من بطن الارض ٠

ـ أصغ الى ، سأذكر لك كيف ينتج الماس فى جوف الارض ٠٠ ان الماس هو أحد عناصر الكربون ٠

ـ كالفحم الحجرى مثلا ٠

ـ نعم ، بيد أنه كربون نقى جدا ، يتبلور تحت ضغط عظيم ٠

ومن المعلوم ، كما جاء فى كتب التاريخ الطبيعى ، أن الارض كانت قبل أن يخلق الانسان والحيوان عبارة عن كرة من النار ، وكان جوف هذه الكرة حافلا بكميات كبيرة من الكربون ، ثم شرع مسطح هذه الكرة يبرد شيئا فشيئا ٠

وكان من الطبيعى أن يقترن برود القشرة السطحية بانكماش سطح الارض كما ينكمش ٠٠ كما ينكمش ٠٠

ـ كما ينكمش القميص بعد غسله ٠٠

ـ مهما يكن من أمر فقد انكمش سطح الارض ، فهل تعلم ماذا ترتب على هذا الانكماش ؟

فأجاب بارنييت ؟

ـ كان من نتيجته بطبيعة الحال أن صغر حجم الكرة الارضية ٠ فاستطرد فالون :

ـ نعم ٠٠ نعم ٠٠ عندما انكمش سطح الكرة صغر حجمها ٠٠ فأحدث ذلك كله ضغطا هائلا جدا على جوف الكرة الارضية ٠٠ وتحت تأثير هذا الضغط الهائل استحال الكربون الى ٠٠٠٠٠٠ ٠

وتريث فالون لحظة ٠ ثم استطرد بحركة مسرحية :

ـ الى ماس ٠ ٠

وهنا ازدرد بارنييت محتويات كأسه ٠٠ ومضى فالون فى حديثه فقال :

- نعم . استحال الكربون النقى تحت الضغط الهائل الى ماس .. وذلك ما أفعله أنـا ...
وأردف على الاثر فى تواضع :
- نعم . هذا ما أفعله . ولست أعنى أننى أجعل سطح الارض يبرد وينكمش .. كلا .. ولكنى أفعل شيئا على هذا النحو بكيفية مصغرة .
فقطب بارنيت حاجبيه . وظهرت على وجهه علامات التفكير وقال :
- أذكر أننى سمعت شيئا مما قلته الآن . ألم يحاول بعض الناس .. وبعض العلماء أن يصنعوا الماس من قطعة من الكربون النقى يعرضونها لحرارة عظيمة وضغط شديد ؟؟
فأجاب فالون :
- بلى ، قد سمعت شيئا بهذا المعنى . غير أن الذين قاموا بالتجربة لم يوفقوا .. أو قل انهم وفقوا الى صنع ماسات صغيرة جدا .. بيعت بثمن لا يوازى معشار المبالغ التى أنفقت فى صنعها .. أما أنا فقد نجحت فى صنع الماس الطبيعى بنفقات ضئيلة لا تكاد تذكر .. ولست بحاجة فى سبيل صنع الماس الى معمل كبير أو أجهزة خاصة تكلف قليلا أو كثيرا من المال .. فقد صنعت هذه الماسة فى غرفة نومى .
قال ذلك واحتسى محتويات كأسه ، ثم نظر فى عينى بارنيت بحدة وقال :
- يخيل الى أنك لا تصدقنى .
فأجاب بارنيت بلهجة الاحتجاج :
- ولماذا لا أصدقك ؟ اننى مقتنع بكل كلمة ذكرتها .

فقال فالون وهو يهز رأسه :
- كلا .. كلا .. انك لا تصدقنى .. على اننى لا ألومك .. فان ما ذكرته لك يبدو كأنه خرافة .. ولكنى لست كاذبا .
فقال بارنيت بسرعة :
- كلا .. كلا ..
- كلا .. اننى لست كاذبا .. ومن قال عنى اننى كاذب جعلته يبتلع هذه الاهانة ولزم الصمت مرة أخرى . ثم رفع رأسه فجاة وقال وهو يلقى يده على كتف بارنيت:
- أصغ الى .. يبدو لى انك رجل عمل ونشاط .. ولست أعلم مبلغ ايمانك بالمصادفات . ولكنى أشعر شعورا غريزيا بأن المصادفة السعيدة التى أدت الى تصادمنا ربما جلبت علينا معا خيرا وفيرا .. سأجعلك ترى بعينى رأسك نجاح تجربتى ؟ فماذا تقول فى ذلك ؟
فأجاب بارنيت
- لا أقول شيئا .
- ماذا تقول اذا ثبت لك أننى قادر على أن أصنع الماس ؟ هل تستطيع أن توفر من وقتك نصف ساعة ، نصف ساعة لا أكثر ، لكى ترى كيف تستحيل قطعة الكربون ، التى لاتساوى شيئا ، الى ماسة أو ماسات تساوى مئات من الجنيهات ؟ أعتقد أن وقتك لا يذهب هباء فى شهود هذه التجربة التى ربما استطعت أن تفيد منها ، فهل أنت على استعداد ؟
ووجد فالون أن بارنيت على أتم استعداد ، فذهب به فى الحال الى الشقة التى يقطنها بشارع تيفولى .

كانت شقة صغيرة ، ولكنها مؤثثة بقطع من أثمن الاثاث

قال فالون :

ـ قلت لك اننى أستطيع أن أصنع الماس فى غرفة نومى ، وذلك ما أفعله الآن وقصد به الى غرفة النوم ، وتبعه بارنيت وهو طائع راضخ ٠

ورأى بارنيت ان فى أحد أركان الغرفة مائدة صغيرة عليها طائفة من الانابيب الزجاجية والبواتق ، وأحد الافران التى تضاء بغاز الاستصباح ، وطائفة من القنانى والاجهزة الصغيرة ٠ وكلها مرتبة بنظام فنى يشهد لصاحبها بالدقة والاناقة وسلامة الذوق ٠

قال فالون لصاحبه بعد أن قدم اليه كأسا من النبيذ :

ـ سترى الآن كيف أصنع الماس ٠

وتناول كمية صغيرة من قنينة كتب عليها « مغنسيوم » وكمية أخرى من قنينة كتب عليها « زرات الحديد » ٠ ثم أضاف الى المغنسيوم وذرات الحديد كمية كبيرة من مسحوق رمادى قال عنه : « انه المادة السرية التى اكتشفها فذللت لـه صناعة الماس » ٠ وخلط هذه المساحيق الثلاثة فى بوتقة كبيرة وقال :

ـ سأفسر لك الآن ما سيحدث ٠٠ ان اشتعال المغنسيوم وذرات الحديد يحدث درجة حرارة هائلة لايمكن قياسها بالطرق العادية ٠٠ ولكنها تقدر بمئات الآلاف من درجة (فهرنهايت) وهذه الحرارة الشديدة تحول المسحوق الثالث تحول المسحوق الثالث الى ماس شبيه بالماس الطبيعى من كل الوجوه ٠

قال ذلك ووضع البوتقة فى الفرن ٠٠ وأطلق صنبور غاز

الاستصباح وأشعله ٠٠ فانبعث من البوتقة وهج خاطف تقترن بفحيح خافت ٠ وشعر بارنيت بحرارة شديدة تلفح وجهه ، ورأى محتويات البوتقة تستحيل الى سائل أبيض ٠

قال فالون ، وهو ينظر الى البوتقة وفى عينيه بريق الرضى :

ـ ها هى الحرارة الشديدة التى تعتبر أهم شىء فى تكوين الماس ٠ وهاهو عنصر الماس قد انصهر فى جو من الحرارة لايبلغ ـ رغم شدته ـ درجة الحرارة فى جوف الارض ٠٠ بيد أننا سنستعيض عن هذا النقص فى ردجة الحرارة بسرعة وضع الماس السائل تحت ضغط هائل ٠٠ ولعل هذا هو السر فى نجاحى حيث فشل الآخرون ، فقد عجز جميع الذين حاولوا صنع الماس عن احداث الضغط الهائل السريع فى الوقت المناسب ٠

قال ذلك وأخرج من درج الطاولة كرة من المعدن نظر اليها باعجاب وحرص كما ينظر البخيل الى ماله ٠ ٠ والفوضوى الى القنبلة التى يريد أن يقتل بها أحد الساسة ٠ وقال :

ـ هذا هو أسرع جهاز صنع حتى الآن للتبريد ٠ ٠ ولست الآن بسبيل الافاضة فى ذكر عمل هذه الكرة وطريقة صنعها ٠ ولكن بحسبك أن تعلم أنها مصنوعة بطريقة علمية فذه ٠

ومتى صببت السائل من البوتقة فى جوف هذه الكرة برد السائل فجأة ، وهبطت درجة حرارته فى نصف ثانية من أربعة آلاف درجة فهرنهايت الى درجة مئة تحت الصفر ٠ فهل تعلم معنى هذا الهبوط الهائل فى درجة الحرارة ؟ !

فأجاب بارنيت ببطء : — أعلم ذلك ، أن معناه ...

ان معناه حدوث ضغط فى جوف هذه الكرة يقدر بآلاف من ملايين الاطنان ، ومتى فتحنا الكرة بعد ذلك وجدنا أن السائل المصهور قد استحال الى ماس نقى .

قال ذلك ورفع البوتقة بمقبض من الحديد ، وصب محتوياتها فى جوف الكرة ، وعندئذ سمع بارنيت صوتا كذلك الذى تحدثه القاطرة عندما تنفث الابخرة المكظومة فى مرجلها ، وامتلأ جو الغرفة بسحب من البخار .

قال فالون :

— سترى بعينيك بعد نصف دقيقة .

فلم يجب بارنيت ، وأخرج من جيبه سيجارا فاخرا أشعله ببطء دون أن يحول عينيه عن الكرة .

سأل وفى عينيه نظرة اعجاب :

— كيف بالله وفقت الى هذا الاكتشاف العجيب ؟ .

فأجاب فالون ببساطة :

— اننى قضيت عشرين عاما مساعدا لاحد كبار الكيميائيين

وكان فالون صادقا فيما قال ، ولكنه لم يذكر لمحدثه كيف أن الكيميائى الكبير طرده من عمله حين اكتشف نقصا خطيرا فى أثمن المواد الكيميائية التى كانت بمصنعه .

واستطرد فالون :

— وقد كنت دائما ألهو بخلط المساحيق والعناصر والمواد المختلفة ، وأقوم بمختلف التجارب ، وأنا مؤمن كل الايمان بأن فى الامكان صنع الماس الطبيعى ، حتى استطعت آخر الأمر أن أثبت ذلك بالتجربة .

وقد صدق فالون فى ذلك أيضا . فقد كان منتهى آماله

وغاية أمانيه وأحلامه أن يصنع كميات غير محدودة من الذهب أو الماس بخلط بعض المواد الكيميائية بعضها الى بعض أو الحصول على حزم من الاوراق المالية بادارة مقبض احدى الآلات .

وشمر لويس فالون عن ساعده . وفتح غطاء الكرة . ثم دس يده فى جوفها .. وأخرجها .. فاذا بين أصابعه قطعة من الماس الخام لايزال يقطر منها الماء .. فنظر اليها بارنيت .. ولمعت عيناه .. وارتسمت على وجهه علامات الرضى والانتصار انتصار العالم الذى أفنى حياته وماله فى خدمة العلم حتى فاز أخيرا بما تصبو اليه نفسه ، ووقع على الاكتشاف الذى من شأنه أن يهز العالم هزا .. ويزلزل النظريات الوضعية زلزلة شديدة ..

هتف :

— خذ . ها هى الماسة التى صنعتها تحت سمعك وبصرك. خذها الى أى تاجر مجوهرات فى باريس تر كم يكون سروره وفرحه بابتياعها .

خذها لنفسك .

ووضع الماسة فى يد بارنيت قسرا واستطرد :

— خذها الى أى خبير أو جوهرى . اذا قال لك قائل انها تساوى أقل من مئتى جنيه نقدتك على الفور ألفا من الجنيهات .

قال ذلك ... ورفع العوينات التى كان قد وضعها فوق عينيه عندما بدأ تجربته الخالدة ... وانقلبت سحنته فجأة ... وارتسمت على وجهه أبلغ علامات الحزن والأسى.

قال مستطردا حديث الأول :

— ومع ذلك فانني أتعس انسان فى هذا العالم .

فرفع بارنيت حاجبيه فى دهشة وقال :

— يا الهى .. كيف يمكن أن تكون تعسا وفى استطاعتك أن تصنع ماسة بمئتى جنيه كل نصف ساعة .

فهز فالون رأسه وقال :

— لأنه ليس فى استطاعتى انفاق هذا المال .

وذهب ببارنيت الى غرفة الاستقبال .. وقدم اليه كأسا من النبيذ ، وتناول مثلها ، وقال :

— ان عملا كهذا يجب أن يعالج بمهارة ولباقة .
والمسألة ليست أن يصنع الانسان بضع ماسات ويحاول بيعها ، ففى استطاعتى أن أبيع ماسة أو ماستين ، ولكنى اذا ذهبت أحد تجار الماس بحقيبة ملأى بالماس فانه يرتاب فى أمرى فى الحال ، ويعتقد اننى أحاول التخلص من بضاعة مسروقة أو مهربة ، ولا يتمالك من أن يلقى على عشرات الاسئلة عن كيفية حصولى على هذه الماسات ، وقد لايتردد فى ضبط الماس وابلاغ الامر الى البوليس .

ومتى علم بالامر ضاع كل شىء لاننى أجد نفسى حينئذ بين نارين . فاذا لزمت الصمت اعتقد البوليس اننى لص أو مهرب ، أو زعيم عصابة دولية تسرق الماس وتبيعه فى أسواق باريس . واذا تكلمت اضطرنى البوليس أن أقوم بالتجربة فيتضح سر اكتشافى ، ويذيع الامر فيهبط سعر الماس وتصبح هذه الاحجار الكريمة المتألقة الطبيعى منها والاصطناعى لاتساوى شيئا مذكورا . وبحسب الناس أن علموا أن هذه الماسات التى يدفعون اثمانها مئات من الجنيهات لاتكلف صانعها أكثر من بضعة فرنكات لكى يزهدوا فى

اقتناء الماس والتزين به .

أطرق بارنيت برأسه .

كان كلام الرجل منطقيا ومعقولا ، ولكنه لم يقل شيئا . بل لزم الصمت وترك لفالون أن يخرج بالحديث من المأزق الذى وصل اليه .

قال فالون :

— انما يحتاج هذا العمل الى رأس مفكر ، ينظمه تنظيما عمليا بحيث يصبح فى الامكان استثماره على الوجه الاكمل .

وكان لويس فالون قد حفظ هذه الخطبة عن ظهر قلب ، فراح يلقيها بلباقة .. دون أن يتلعثم أو يتردد أو يتريث للتفكير فيما يقول :

استطرد :

— يحتاج هذا العمل الى شخص يسافر الى الخارج ، لا الى افريقيا الجنوبية حيث مناجم الماس ومنتجاتها موضوعه تحت أشد أنواع الرقابة وانما الى أمريكا الجنوبية مثلا .. وهناك يقوم هذا الشخص أو يزعم أنه يقوم بالبحث والتنقيب عن الماس .

وبعد أن يقضى هناك بضعة شهور يذيع بمختلف وسائل الاذاعة كبرقيات الصحف والمقالات وغير ذلك انه اكتشف منجما عظيما للماس .

وعلى أساس هذا الاكتشاف المزعوم ننشىء نحن هنا شركة لاستثمار منجم الماس ونطرح اسهم المنجم للبيع ، ومتى وردت أول كمية من ماس المنجم تهافت الناس على شراء الاسهم .

وهكذا نستطيع تنظيم عملنا . ونبيع الماس الاصطناعى

بطريقة منظمة ليس فيها خرق للقانون .

فسأله بارنيت فى دهشة :

ـ ولماذا لا تفعل ذلك ؟

فتنهد فالون وأجاب :

لم أفعل ذلك لاننى أفتقر الى النشاط ، ولست فى مقتبل العمر مثلك ، يضاف الى ذلك أننى عديم الخبرة بانشاء الشركات واصدار الاسهم وتنظيم رؤوس الاموال ، ثم اننى لا أريد أن أقيد نفسى بمتاعب الاعمال المكتبية .

نعم . لقد كنت دائما أمقت الاعمال المكتبية . وقد قضيت عشرات الاعوام فى اجراء ابلحوث والتجارب ، وأريد الآن أن أقوم ببعض رحلات ، وأن أعيش فى جو جديد ، أستمتع بعشرة النساء ، وانفاق المال بغير حساب .

ثم ضغط على ساعد بارنيت واستطرد :

ـ ولست أذيع سرا اذا قلت لك اننى نهكت أعصابى فى العمل وان الاطباء صرحوا لى بأن أيامى فى الحياة أصبحت محدودة .

نعم . لقد أجهدت نفسى فى العمل وأريد الآن أن أستمتع بالحياة . فاذا أنا ستطعت الاعتماد على معونة شخص مثلك ...

ثم اعتدل فى مكانه وقال كمن يحدث نفسه :

ـ اننى بحاجة الى شخص كتوم لايهمه أن يجهد نفسه فى العمل لقاء ربح وفير ، شخص أستطيع أن أترك له ادارة أعمالى اذا قمت أنا بسياحة .

ويجب أن يكون لدى هذا الشخص مبلغ من المال يستثمر فى الشركة لتصبح الشركة صفة قانونية صريحة . وأنا أكفل له أن يصبح بعد عام أو بعض عام مليونيرا يشار اليه بالبنان

وقد يخيل اليك أن من السهل العثور بمثل هذا الشخص ، ولكن الواقع غير ذلك . اذ ليس أندر من أولئك الذين يستطيعون الفوز بثقتى بحيث أفضى اليهم بمثل هذ السر العظيم .

على أننى لم أتمالك من الاطمئنان اليك ساعة أن وقع بصرى عليك ، ولكن ما الفائدة ؟

وتنهد من قلب حزين واستطرد :

ـ نعم ، ما الفائدة ؟ مأنذا صاحب أعظم اكتشاف علمى فى العصر الحديث .. ومع ذلك فاننى لا أستطيع أن أفيد منه شيئا .

اننى شخص منحوس .. وسوء الحظ يلازمنى منذ ولادتى كما قلت لك .

ولم يبق لدى بارنيت شك فى نحس هذا المخترع وسوء حظه .. بيد أنه لم يعبر عن اعتقاده ، بل سمح لاسارير وجهه أن تنبسط . وقال بلهجة تنم عن الجشع :

ـ اذا كنت قد وثقت بى حقا ، وكان فى استطاعتى أن أتعاون معك ....

فحملق فالون فى وجهه كأنه لا يصدق أذنيه ، أو كأنه لم يكن قط يرجو أن تحدث هذه المعجزة ..

قال وهو يتنهد متألما :

ـ كلا ، ان حظى لا يمكن أن يتبدل بهذه السرعة ، ومن المستحيل أن تتعاون بمثل هذه السرعة وهذا الاستعداد مع شخص لا تعرفه حق المعرفة .

ولكن بارنيت أكد له أنه على استعداد لهذا التعاون . ودار بين الرجلين بعد ذلك حديث دل على أن حظ فالون قد

تبدل حقا ، فقد أعرب له (ضالته المنشودة) عن استعداده للتعـاون معـه ·

واستغرق الحديث بينهما ساعة أو بعض ساعة بحثا فى خلالها فى وسائل العمل ، وتفاهما على شروط الاتفـاق ، وانصرفا معـا فتناولا طعام الغذاء فى جو مشبع بروح الود والتفاهم ، والاعجاب المتبادل ، وتكلما عن الملايين التى سوف تهبط عليهما ، وافترقا على أن يعود بارنيت الى بيت فالون فى صباح اليوم التالى ، حاملا معه مبلغ ألفين من الجنيهات هى نصيبه من رأس مال المشروع الذهبى العظيم الذى سيصبح شريكا فيه ، على أن يستثمر لويس فالون مثل هذا المبلغ فى المشروع ، وبذلك يصبحان شريكين على قدم المساواة ·

ومضى بارنيت وفى جيبه الماسة التى صنعها فـالون ، وقصد لتوه الى أحـد تجـار المجوهرات ؟ ففحص الجوهرى الماسة ، وأكد له أنها ماسة حقيقية لا ريب فيها ·

والظـاهر أن سحب سوء الحظ انقشعت فعـلا من حياة لويس فالون ، لانه عندما فتح الباب لصديقه وشريكه فى اليوم التالى ، كان وجهه مشرقا تلوح عليه علامات السرور والغبطـة ·

وقد لاحظ بارنيت أن الاثاث فى بيت فالون قد اضطرب نظامه ، وأن هناك طائفة من الحقائب والامتعة قد أعـدت وحزمت تمهيدا للرحيـل ·

قـال :

ـ أرجو ألا أكون قد أبطأت فى القدوم ·

فأجاب فالون عـلى الفور :

ـ كلا ·· انك جئت فى الوقت المحدد تماما ·· ولـكنى

لا أكتمك أننى كنت شديد القلق ·· لان أعصابى متعبة كما قلت لك ·· ولاننى لم اشأ أن أصدق أن حظى قد تبـدل حقـا بمثل هذه السرعة ·

لقد أعددت حقائبى كما ترى ·· وأبتعت تذاكر السفر ·· وسأرحل بمجرد ابرام الاتفاق بيننا بصفة نهائية ·

فصدقه بارنيت ··

كان مما تم الاتفاق عليه بينهما أن يرحل فالون الى أمريكا الجنوبيـة بأسرع مـا يمكن ليشرع فى صنـع الماس وتصديره ·

وقال فالون وهو يشير الى وثيقة مكتوبة بعناية :

ـ ها هو العقد ·· قد وضعته فى الصيغة القانونية · وليس عليك الا أن تكتب الرقم الذى تنوى استثماره فى المشروع ·· والا أن توقع بامضائك فى ذيل العقد ·

وبعد رحيلى تستطيع أن تبعث الى بمئتين أو ثلاثمئة من الجنيهات أسبوعيا من أرباح المشروع ·· ولا يهمنى ما تصنع بباقى الارباح بعد ذلك ·

فتناول بارنيت وثيقة العقد باللهفة المنتظرة من أى شخص فى مثل موقفه ·· وجرى ببصره على نصوص الاتفاق، ثم وقع عليه بامضائه ، وأخرج من جيبه رزمة من الاوراق المالية قدمها الى لويس فالون · فتناولها هـذا بأصابـع مرتجفة ، وأحصاها ، ودسها فى جيبـه ·

قـال بارنيت :

ـ الآن ·· وقد انتهى كل شىء ، ألا ترى من الافضل أن ترشدنى الى طريقتك فى صنع الماس زيادة فى التأكد ، ولكى أكون على بينة من الأمر ؟

- طبعا .. طبعا .. لقد سجلت تفاصيل التجربة على ورقة خاصة .. ها هى ذى وقدم اليه قصاصة من الورق فدس بارنيت الورقة فى جيبه وهو يقول :

- آه .. شكرا لك .. ولكن ألا يحسن على كل حال أن نعيد التجربة لاتحقق منها عمليا ؟

- بلا شك أيها العزيز .

وأخرج فالون ساعته ، ونظر اليها ، وفكر لحظة ثم قال:

- لا أعلم أيتسع الوقت لاجراء التجربة كلها .. ولكن ثق على كل حال ان الخطأ مستحيل . تعال معى .

وذهب به الى غرفة نومه .

قال بارنيت : - دعنى أقوم بالتجربة بنفسى .

وتناول البوتقة ، ووضع بها كميات من الساحيق الثلاثة، ولكنه لم يتقيد بالمقادير التى حتمها لويس فالون ، بل أسرف فى بعضها . واقتصد فى البعض الآخر ، وسكب محتويات احدى القنانى على الارض . فقلب فالون شفته وقال :

- يجب أن تكون حريصا فى وضع مقادير المساحيق. انك أخطأت الآن خطأ جسيما فى وضعها بالنسب المحددة.. ولكننى أرى على كل حال انك فهمت التجربة . فامض فيها على هواك . أما أنا فسأرحل ، حتى لا يفوتنى موعد القطار.

فقال بارنيت :

صبرا .. صبرا لحظة .. أريد أن أتحقق ، وأن أعرف جميع الاخطاء التى يحتمل أن أتورط فيها .

ووضع البوتقة فى الاتون ، واشعل غاز الاستصباح .. فتوهجت المساحيق فى البوتقة بشدة . واضطر الرجلان ان يتراجعا الى الوراء حتى لا تلفح الحرارة وجهيهما ...

قال فالون :

- اننى لا أتوقع نجاح تجربتك هذه . ولكن لا بأس على كل حال من أن تمضى فيها لتكسب شيئا من الخبرة . وعليك أن ترقب البوتقة مليا .. ومتى رأيت المساحيق قد انصهرت واستحالت الى سائل أبيض ، فاسكبها توا فى جهاز التبريد .

قال ذلك ، واستمر يرقب التجربة فى ثبات وهدوء . لم يكن ثمة ما يدعوه الى الانزعاج ، فقد كانت مقادير المساحيق خاطئة بغير شك ، وهو سبب معقول لفشل التجربة أخذ يدخن فى هدوء واطمئنان ، بينما حمل بارنيت البوتقة ، وسكب محتوياتها فى جها زالتبريد .

وانقضت بعد ذلك بضع دقائق ، وشمر بارنيت عن ساعده ، ودس يده فى جوف كرة التبريد .

وعندئذ خيل لفالون أن قلبه قد كف عن الحركة ، وأن عينيه قد جمدتا فى محجريهما ، وأن خللا مزعجا قد طرأ على أجهزته التنفسية والعصبية .

وذلك أنه رأى بارنيت يخرج يده من كرة التبريد ، فاذا بين أصابعه ثلاث ماسات صغيرة ..

تصبب العرق على جبين لويس فالون ، ومرت به لحظة كانت أشبه بدهر ، شعر فى خلالها بمثل ما يشعر به الرجل الذى يبيع جوادا النقل ، ثم يرى بعدئذ أن الجواد أصيل وأنه من أفضل جياد السباق .

ورجعت به الذاكرة فى تلك اللحظة الى الساعات والايام والشهور والاعوام التى قضاها فى تجارب عقيمة لتحقيق حلمه العظيم ، والى الاموال الكثيرة التى أنفقها فى سبيل تحقيق

هذا الحلم .

وخيل اليه لاول مرة أنه سى الحظ حقا ، وغلى الدم فى عروقه عندما رأى ابتسامة الفوز التى ارتسمت على شفتى بارنيت صاح بصوت أجش :

ـ يا الهى .. صبرا .. صبرا لحظا .. هذا مستحيل

فقال بارنيت فى هدوء :

ـ قد يكون هذا مستحيلا ، ولكنه حدث فعلا كما ترى.

فابتلع فالون لعابه بصوت مسموع ، وتناول من يد بارنيت احدى الماسات الصغيرة وفحصها بمهارة الخبير العالم .

لم يكن عنده شك فى أن الماساه حقيقية ، وان كانت أصغر بكثير من الماسات التى زعم أنه صنعها فى اليوم السابق، بيد أنها كانت تساوى مئة من الجنيهات على الاقل .

هتف : أعد هذه التجربة مرة أخرى . هل تذكر كيف أجريتها فى المرة السابقة ؟

فأجاب بارنيت ببساطة أنه ربما يذكر .. وشرع يقوم بها من جديد . وفالون ينظر اليه بعينين لا يغمض لهما جفن.

وما كاد بارنيت يفرغ من تجربته الثانية حتى أسرع فالون نفسه .. فدس يده فى جوف الكرة وأخرج فى هذه المرة ماستين صغيرتين .. لاشك أنهما من أفضل أنواع الماس الخام .

لزم فالون الصمت وقتا طويلا .. وراح يسير فى الغرفة جيئة وذهابا بخطوات غير متزنة ، ويحك رأسه بين الفينة والفينة .

كان يفكر تفكيرا عميقا .. ..

فقد شاءت الاقدار ، لحكمة لا يعلمها الا الله ، أن يقع هذا الرجل الساذج بطريق المصادفة على المقادير الصحيحه التى تنتج الماس الاصطناعى . وهى المقادير التى بذل فالون زهرة حياته فى البحث عنها دون جدوى .

وقد وقع هذا الرجل الساذج منذ دقائق عقد اتفاق يخوله الحق فى نصف ارباح المشروع ، ودفع ألفين من الجنيهات نصيبه من رأس مال الشركة .

يجب استرداد هذا العقد بأى ثمن ، وفض الشركة بأية وسيلة .

على أن لويس فالون لم يكن من أولئك الذين يلجأون الى العنف حيث يمكن الاستعانة بالدهاء وقال :

وقف فجأة ونظر الى بارنيت وقال :

ـ أصغ الى ، هذا عمل عظيم ، هذا مشروع هائل ، ولا ضرورة لان أوضح لك ما أعنى ، لانك لست من المشتغلين بالعلوم .

اننى قد أضطر الآن الى العدول عن الرحيل ، لاننى كما قلت لك أخدم العلم لذاته ، وأحب العلم أكثر من المال ، ولن يطمئن بالى ويرتاح ضميرى حتى أتوفر على دراسة هذه التجربة .

ومضى يتحدث عن تضحياته فى سبيل العلم ، وانتهى بأن قال :

ـ أصغ الى ، لقد أنست فيك منذ البداية كرم الخلق والدعة ، فهل لك فى أن تظل كريما الى النهاية فتمزق عقد الاتفاق الذى أبرمناه الآن . وتقتنع بأن تكون مديرا للشركة بمرتب معين ؟ اننى فكرت فى الامر مليا ، ووجدت أننى مغبون

في الشركة التي اتفقنا عليها .

وهنا فقط ، ظهر لفالون أن بارنيت ليس كريم الخلق كما كان يتصور ، فقد أصر بارنيت على حقه ونصيبه في الشركة ... ورفض أن ينزل عن شيء من حقه خدمة للعلم أو الانصاف .. وأظهر دهشته لعدول فالون عن مشروع الشركة ، وتساءل عن الاسباب التي تمنعه من مواصلة تجاربه وأبحاثه العلمية مع وجود الاتفاق الذي تم ابرامه.

وعندئذ جرى لسان فالون بآلاف الاعذار التي يجدها الانسان حاضرة الا على ألسنة الساسة .

وأظهر بارنيت آخر الامر شيئا من المرونة ولين العريكة. فرد اليه فالون مبلغ الالفين من الجنيها التي دفعها لتكون رأس مال له في المشروع .

وقال :

ـ وسأنقدك فضلا عن ذلك ألفا من الجنيهات لالغاء عقد الشركة . وذلك فيما أرى ربح سريع لم يكن يخطر لك ببال عندما تقابلنا . أضف الى ذلك أنني سأجعل منك مديرا لاعمالي بمرتب ثابت .

فقلب بارنيت شفته وقال :

ـ ان مبلغ ألف جنيه ليس شيئا مذكورا .

واستمرت المساومة وقتا ليس بالقصير .. استخدم فيه فالون كل وسائل الاقناع والتوسل .. حتى نجح أخيرا في حمل بارنيت على قبول أربعة آلاف من الجنيهات لكي يمزق عقد الشركة .

وضع بارنيت المبلغ في جيبه .. وهو أشد الناس أسفا على أنه مضطر الى قبول هذا المبلغ التافه.والاستعاضة

به عن الارباح الطائلة التي كان يرجو أن تعود عليه من الاشتراك في تنفيذ هذا المشروع الذهبي ، وقرر أنه لم يقبل الغاء العقد الا ارضاء لفالون وخدمة للعلم . ثم قال :

ـ والآن .. متى تبرم الاتفاق على استخدامي مديرا لاعمالك ؟

ـ سأتصل بأحد المحامين وأطلب اليه أن يحرر عقد استخدامك بالطريقة القانونية . فعد الى غدا تجدني في انتظارك ..

وما كاد بارنيت يتصرف حتى نهض فالون الى أدوات صنع الماس فوضعها في احدى الحقائب . وانطلق بها في سيارة أخرى الى حانوت الجوهر سلمون .

صاح وهو يكاد يرقص طربا :

ـ لقد ضمنت الثروة يا سلمون ... وفي استطاعتي الآن أن أصنع ماشئت من الماس .. انظر ..

وأخرج أدواته وأجهزته من الحقيبة . وشرع في اجراء التجربة كما أجراها بارنيت والظاهر أنه أخطأ في مقادير المساحيق . لان التجربة تكللت بالفشل .

أعاد الكرة ، ولكن بغير جدوى .

وأجرى التجربة للمرة الثالثة . والرابعة ولكنها لم تنتج ماسا .

وكان يشعر عقب كل تجربة فاشلة كان جانبا من دمه قد تجمد في عروقه .

هتف كالمجنون :

ـ أؤكد لك أنني رأيته يصنع الماس يا سلمون . وقد وفق بطريق الصدفة الى خلط المساحيق الخلط الصحيح الذي

قضيت الاعوام الطويلة فى محاولة معرفته .

فهز سلمون كتفيه . وقال بلهجة المتشائم :

ـ يحتمل أن يكون قد أخفى الماسات بين أصابعه قبل أن يضعها فى الكرة فاعتمد فالون رأسه بين كفيه .

صحا فجأة من ذلك الحلم الذهبى السعيد ، حلم الحصول على ملايين الجنيهات من صنع الماس .

وتلاشى مع هذا الحلم السعيد شىء آخر ملموس ، هو الثروة التى ادخرها فى كل حياته بشتى الوسائل المشروعة

ولم يبق له فى الحياة الا أمنية واحدة ، هى ان يقابل بارنيت مرة أخرى فى زقاق مظلم ، بالقرب من نهر السين ، وأن يكون معه حينئذ خنجر حاد .

بيد ان باريس كانت حافلة بكثير ممن يتمنون هذه الامنيـــة ..

٢ ـ العقـــــد

كان جيمس بارنيت يعتقد ـ بصفته صاحب « مكتب بارنيت وشركائـه للاستعلامات المجانيـة » ومديره والموظف الوحيد فيه ـ ان من أهم عوامل النجاح فى الحياة أن يكون الانسان قوى الذاكرة ، شديد الفضول ، يعرف أناسا كثيرين من مختلف الطبقات . وقد أثبتت الحوادث صدق هذه النظرية

وجد بارنيت نفسه بعد تناول طعام الغداء حرا طليقا . فعرج على حانوت رجل من أصدقائه يدعى شارل ميلار ، يزاول مهنة من المهن العجيبة التى لا يصدق كثيرون بوجودها

وكان لدى بارنيت متسع من الوقت لقضـاء ساعة أو

بعض ساعة فى تجاذب أطراف حديث مجد أو غير مجد ، مع صديقه ميـلار .

وراح ميلار يشكو لصديقه بارنيت كساد المهنة .

قـــال لـه :

ـ ان الجمود الذى طرأ على سوق المجوهرات فى المـــدة الاخيرة قد عطل أعمالى وجعلنى أفـكر فى البحث عن مهنـة أخرى ، والواقع أن أحدا من الاغنياء لم يعد يقدم على ابتياع الحلى والمجوهرات الثمينة ، وهكذا كسدت صناعتى .

انظر الى هذا العقد ، انه أكبر عمل قمت به منذ أسابيع

ووضع أمام بارنيت عقـد من اللؤلؤ يسيل لـه لعـاب الحســـان .

بيد أن بارنيت كان يعرف مهنة ميلار ، وبالتالى كان يعرف قيمة هذا العقد .

والواقع ، ان ميلار لم يكن يتجر بالمجوهرات ، ولكنه كان معروفا عند جميع الجوهريين وأصحاب الحلى الثمينة فى باريس ، وكثيرا ما وضعت أمامه مجوهرات يقدر ثمنها بملايين من الفرنكات ، فواصل الليل بالنهار فى العمل تحت نظـر أحد رجال البوليس السرى لصنع مجموعات زائفة تشبههـا كل الشـبه .

ذلك أن القوم فى باريس جروا على طريقـة مبتـكرة لصيانة ثروتهم من الحلى والمجوهرات ، فهم لايتزينون بهذه الحلى والمجوهرات الا نادرا ، وفى حفلات خاصة ، بيد أنهم اذا دعوا الى احدى الحفلات العامة وأشـــفقوا أن تذهب مجوهراتهم الثمينة ضحية حادث من حوادث السطو ، عمدوا الى مجوهراتهم الحقيقية فأودعوها احدى الخزائن ، وتزينوا

بمجوهرات لايشك الناظر فى أنها مجوهراتهم ، ولكنها فى الواقع مجوهرات زائفة من صنع الفنان البارع ، شارل ميلار .

قال ميلار وهو يعبث بالعقد الزائف :

ـ هذا نموذج بديع لعقد (كيلمان) المشهور • وقد زارنى المركيز بالفرى منذ شهر تقريبا ، وطلب الى أن أصنع هذا الانموذج • ولكنى ما كدت أفرغ من صنعه حتى أعلن افلاس المركيز ، وبيعت ممتلكاته ومجوهراته • وهكذا أصبح من عبث العابثين أن يطالبنى المركيز بهذا الانموذج وأن ينقدنى ثمنه .

هذا ، ومن المحتمل جدا ألا يحتاج أولئك الذين ابتاعوا عقد (كيلمان) الى هذا الانموذج ••

وهكذا أستطيع أن أعتبر الجهود التى بذلتها فى الاسابيع الاخيرة قد ذهبت سدى •

لم يعقب بارنيت على هذا الحديث بكلمة واحدة ، ولكنه كان حديثا غير عادى .

وانقضت الايام والاسابيع •

وفى أحد الايام ذهب الى مكتب بارنيت رجل متقدم فى السن •• مهيب الطلعه تنم حركاته وتقاطيع وجهه عن الرزانة والوقار •

وقدم الزائر نفسه الى بارنيت بقوله :

ـ أنا محام واسمى (بوفيه) • وقد قيل لى ان مكتب بارنيت يقوم بالاستعلامات وأعمال البوليس السرى ••

فقاطعه بارنيت :

ـ هذا صحيح ، والمكتب يقوم بهذه الاعمال مجانا• ولكن بالصدق والاخلاص فظهرت على وجه المحامى علامات

الدهشة الحقيقية ، وهتف :

ـ مجانا ؟ هذه أول مرة أسمع فيها أن مكتبا للاستعلامات وأعمال البوليس السرى يؤدى عملا مجانا •

فقال بارنيت وعلى شفتيه ابتسامة غامضة :

ـ ان الغرض من انشاء هذا المكتب هو خدمة الانسانية وفعل الخير •• مع الصدق والاخلاص وكتمان أسرار الناس•

ـ هل أنت غنى يا مسيو بارنيت ؟

ـ ان هناك طائفة من فاعلى الخير ينفقون على هذا المكتب ، وأنا أتقاضى منهم مرتبى •

اننى جئتك فى مهمة سرية خاصة ، ولكننى أصر على دفع الاجر •

ـ عبثا تحاول ياسيدى ، وان مكتب بارنيت وشركاه يؤدى أعماله مجانا ، واذا حاد المكتب عن مبدأ المجانية ذهب الغرض من انشائه •

فدهش المحامى ، وصمت لحظة ، ثم قال :

ـ اذن لا أقل من أن أدفع النفقات • لان المهمة التى جئتك فى صددها تتطلب انتقالك الى لندن •

فقال بارنيت باصرار :

ـ ان المجانية تطبق على طول الخط ، ومكتب بارنيت يعطى ولا يأخذ •

ـ على رسلك اذن ، ان هذا الاصرار لايمنعنى من الاستعانة بك فى المهمة التى جئت من أجلها ، وهى كما قلت لك مهمة سرية دقيقة تتطلب الحرص والكتمان ، وهما شرطان أعتقد أنهما يتوفران فى مكتب بارنيت وشركائه •

ـ تكلم ياسيدى وأفصح عن غرضك •

فقـال المحامى :

ــ لقد طلب الى أحد عملائى أن أنيط بك مهمة نقل طرد صغير الى عنوان فى لنـدن .

فنفث بارنيت من فمـه سحابة من الدخان ، وقال، وهو ينظر الى سقف الغرفـة :

ــ هذه مهمة فى غاية البساطة ، وقد كان فى امكانك أن ترسل هذا الطرد الى لندن بواسطة البريد .

ــ ليس مسموحا لى أن أذكر لك محتويات هذا الطرد يامسيو بارنيت ، ولكن بحسبك أن تعلم أنه مؤمن عليـه لدى احـدى شركات التأمين بمبلغ خمسة آلاف جنيـه وأن محتوياته تساوى فى الواقع أربعة أضعاف هذا المبـلغ . وأعتقد أن هذه المحتويات لاتقدر بثمن لانها عبارة عن شيء فريد لامثيل له فى العالم ، وقد فكرنا فى استخدام أحد رجال البوليس السرى التابعين لادارة الشرطة بنقل هذا الطرد الى لندن ، ولكننا عدنا فلاحظنا أن الاسرار لاتكتم طـويلا فى الدوائر الحكومية ، وأن الاجراءات الرسمية الطويلة المتشعبة تتنافى مع شرط الكتمان الذى نريد أن يحاط به هذا الطرد حتى يصل الى لندن ، ونحن نخشى أن تقع محاولة مـا لسرقة الطرد ، ولذلك رأينا أن نلجـأ الى مكتب بارنيت وشركائه ، اذا علمنا أن هناك شخصا واحدا يقوم بالعمـل فى هذا المكتب ، وذلك الشخص هو مسيو بارنيت نفسه .

ففكر بارنيت لحظة ثم قال :

ــ اننى أشكر لك هذه الثقة وأرجو أن أوفق الى خدمتك بالامانة والاخلاص ..

فقـال المحـامى :

ــ نعم ياسيدى ، اننا نعتمـد على أمانتك كما نعتمـد عـلى لباقتك .

ــ كن مطمئنا يا سيدى .

ــ هل أعتبر قبولك هذه المهمة مسألة متفقا عليها .

ــ طبعا ، طبعا ، ولمـاذا لا أقبل المهمة وأنتهز الفرصـة لزيـارة لنـدن ؟

فقال المحامى وهو ينهض :

ــ وبهذه المناسبة يجب أن أقول لك أنه من الضرورى جدا أن يصل الطرد الى لندن قبل ظهر غد ، ومعنى ذلك أنـه يتعين عليك أن تسافر باحدى الطائرات التى تبرح مطـار (بورجيه) غدا صباحا ، كذلك يجب أن أقول لك ان رجال البوليس فى مطار (كريدون) بلندن يفتشون جميع المسافرين بطريق الجو لمنـع تهريب البضائع ، ومن المهم جدا ألا يعرف رجال البوليس محتويات هذا الطرد ، ففكر منذ الآن فى الخطة التى ستسير عليها ، وسأعود اليك فى المساء ومعى الطرد .

وفى المساء ، عاد المحامى ومعه طرد صغير هو عبارة عن صندوق من الورق المقوى لايزيد سمكه عن سنتيمترين وهو محزوم بعناية شديدة ومختوم بالشمع الاحمر .

وكرر المحامى تحذيره بشأن المحافظة عـلى الطرد من اللصوص ورجال البوليس ، ووضع بيد بارنيت رقعة صغيرة عليها عنوان الشخص الذى سيسلم اليه الطرد فى لنـدن ، فقرأ بارنيت لسم الشخص وعنوانه ، حتى انطبعا فى ذاكرته، ثم مزق الرقعة .

وانصرف المحامى ، وبقى بارنيت فى مكتبه فترة من الوقت .

تناول بارنيت الطرد بعد انصراف المحامى ، ووزنه فى يده .

كان الفضول الشديد من أهم مواطن الضعف فى نفس بارنيت ، وكان كذلك من أهم عوامل نجاحه فى الحياة .

ذلك لانه لم يكن من أولئك الذين يهضمون الالغاز والاحاجى ، فهو لايكاد يرى أمرا غامضا حتى يستيقظ فضوله، ويشرع فى بحثه والتغلغل فى أعماقه .

ولم يخطر ببال بارنيت قط أن يخون الامانة فيما يختص بسلامة الطرد الذى وضعه المحامى بين يديه ، غير أن الفضول اللعين جعله يعتقد أن هناك صلة وثيقة بين طبيعة محتويات الطرد ، وسلامة الطرد ذاته ، وقد ناضل هذا الفضول طيلة الليل ، ولما استيقظ فى الصباح غلبه الفضول على أمره ، ففتح الطرد بلباقة ، ولم يندم قط على أنه فعل ذلك . . .

ووصل بارنيت الى مطار بورجيه ، وفى يده كتاب ليس له من الصفات الكتب الا الغلاف .

أما المحتويات فكانت ذلك الطرد المعهود ، وقد وضعه بارنيت مكان الجزء المطبوع من الكتاب بعد ان انتزع هذا الجزء بلباقة عظيمة .

وقف بارنيت فى المطار فى انتظار الفراغ من التمهيدات والاستعدادات العادية المألوفة التى جعلت سرعة السفر بالطائرات مسألة نظرية أكثر منها عملية . وهم بأن يخرج من جيبه لفافة تبغ ثالثة حين اقتربت منه فتاة حسناء كانت تنتظر ساعة الرحيل بفارغ الصبر مثله وطلبت اليه عودا من الثقاب .

وأخرجت الفتاة من حقيبتها علبة تبغ وقدمت اليه لفافة وهى تقول :

ـ هل اعتاد القوم فى المطار مثل هذا الابطاء ؟

فأجاب بارنيت بلهجة الاستسلام :

ـ انهم اعتادوا ذلك كلما أردت السفر .

فضحكت الفتاة وسألته :

ـ هل نسافر معا ؟

فأجابها :

لا أعلم أنا أقصد الى لندن .

فقالت الفتاة :

ـ وأنا أقصد الى (أوستند)

فتنهد بارنيت وقال :

ـ ألا تستطيعين تعديل خطتك والسفر الى لندن ؟

وأشعل لفافة التبغ التى قدمتها اليه الفتاة ، ونفث الدخان من فمه ، وظهرت على وجهه علامات التفكير .

قالت له الفتاة :

هلم بنا نسير فى أرض المطار قليلا ، اننى أكاد أختنق ضجرا .

ـ هذا رأى صواب .

وكان المطار خلوا من الناس تقريبا .. وليس به سوى طائفة من الطيارين والعمال فسار بارنيت والفتاة حتى ابتعدا عن الطائرة .. ثم قال بارنيت ببساطة :

ـ لماذا قدمت الى لفافة تبغ بها مادة مخدرة ؟

وكان السؤال فجائيا .. فنظرت اليه الفتاة بحدة..
وارتجفت أهدابها بسرعة عندما التقت عيونهما .

قالت بلسان متلعثم :

ـ أنا .. أنا لا أفهمك .. ماذا تعنى ؟
فألقى بارنيت لفافة التبغ .. وقال :
ـ لماذا تتجاهلين يا أختاه ؟ ان حيلة لفافات التبغ المحشوة بالمخدر هى من الحيل المبتذلة التى اعتاد بارنيت أن يحتال بها وهو فى السابعة من عمره .
فرفعت الفتاة يدها الى فمها .. ثم لوحت بها بحركة بسيطة .
ولاحظ بارنيت أن الفتاة تنظر الى شىء خلفه . فاستولى عليه الفضول وحول رأسه ببطء .. لينظر وراءه .
ولكنه لم يكد يفعل ذلك حتى شعر بأداة حادة تهوى على رأسه فترنح فى مكانه وسقط على الارض .. وافلت الكتاب من يده .. ثم غاب عن وعيه .
وعندما أفاق بارنيت . . وجد نفسه فى غرفة صغيره تطل على مطار بورجيه . . ورأى فوقه شخصا يحملق فى وجهه بحدة . . كأنه يترقب بفارغ الصبر اللحظة التى يعود اليه فيها وعيه . .
وتبين بارنيت وجه هذا الشخص . . وعرف فيه صديقه انمديم بيشو مفتش البوليس .
كانت تربط بين الرجلين روابط وثيقة .. ليس أقلها شأنا تلك الرابطة الطبيعية التى تجذب رجل البوليس الى غريمه البارع الموهوب .. الذى يعرف دائما كيف يفوز بغنيمته دون أن يمكن القانون من أن يرنو اليه بعينه .
وتوقع بارنيت أن يشد بيشو على يده .. وأن يعانقه ويضمه الى صدره .. ويهنئه بالنجاة من حادث الاعتداء الذى وقع على حياته .. ولكن شيئا من ذلك لم يكن .

كان بيشو متجهما مقطب الجبين .
سأله بارنيت فى لطف ليخرجه من جموده :
ـ هل أنت الذى أوعزت الى رجالك بالبطش بى ؟ لم أكن أعتقد أنك بهذه الدرجة من القساوة والغلظة .
فأجابه بيشو مقتضبا :
ـ اننى ورجالى أبرياء من هذا الاعتداء الذى وقع عليك . وقد اعتقلنا المعتدى ، ولك أن تقاضيه اذا شئت . بيد أننا لم نتمكن من اعتقال الفتاة ، لانها لاذت بالفرار أثناء المعركة التى قامت بيننا وبين شريكها الذى بطش بك . لقد كنت أحسبك تعرف هذه الفتاة يا بارنيت،انها مشهورة فى الاوساط الدنيا باسم كاترين الحمراء .. ولها صلة وثيقة بأكثر أشقياء باريس .
فهتف بارنيت :
ـ كاترين الحمراء !! لقد سمعت [illegible] قبل الآن . ولكنى لم أتصور أنها فى مثل هذا الجمال وهذه الاناقة .
ثم ابتسم واستطرد :
ـ مهما يكن من أمر فقد تشرفت بمعرفتها . وكانت تحيتها لى بمناسبة هذا التعارف لفافة تبغ محشوة بمادة مخدرة . ولست أدرى فى الواقع لماذا أرادت هذه الحسناء أن أفقد صوابى .
فقال بيشو :
ـ لقد كنت أعتقد أنك تعرف السر . اننا وصلنا الى المطار فى ذات اللحظة التى أهوى فيها الشقى على رأسك بعصا محشوة بالحديد .
اننا نعرف الغاية التى يرمى اليها أولئك الاشقياء .

فقد استطاعت عصبة (ديكون) أن تفوز بالعقد . ولكن العصابة الخضراء لاتريد التسليم لها بهذا الفوز .. والشيء الذى تنقضى معرفته الآن هو العلاقة التى تربط بينك وبين (ديكون) . والاساس الذى اتفقتما على العمل بمقتضاه .

فنظر بارنيت الى بيشو فى دهشة وهتف :

– بماذا تهذى ياهذا ؟ ! من هو (ديكون) ؟ ! وما هى العصابة الخضراء ؟؟ انك تتحدث الى بلغة لا أفهمها .

– أما العصابة الخضراء فهى تلك الجماعة من الاشقياء الذين اعتدوا عليك .. وأما (ديكون) فهو رئيس العصابة التى سطت أمس على عقد (كيلمان) المشهور الذى كان يملكه المركيز بالفرى .

وقد علمت ادارة الشرطة بأن (ديكون) يفكر فى السطو على هذا العقد الثمين . فوضعته تحت المراقبة . وقد ثبت أن هذا الرجل زارك أمس مرتين . بيد أن سرقة العقد لم تكتشف الا صباح اليوم . ونحن الآن فى انتظار ايضاحاتك ويجب أن أنذرك من الآن بأن موقفك فى القضية سيء جدا .

فصعد بارنيت محدثه بنظرة هادئة . ثم أشعل لفافة تبغ وقال :

– أصغ الى يا بيتشو قبل أن توجه الى لاتهم جزافا . .. أنا أعلم أننى سيء الحظ معك ... وأن ثقتك بى تهبط فى بعض الاحيان الى مادون درجة الصفر ، رغم شعورك الاكيد بالخدمات العظيمة التى أؤديها لك وللعدالة .. ولكن يجب – لكى تفهمنى حق الفهم – أن تطرح شكوكك وريبك جانبا .. وإلا أصبحت تبرئة نفسى أمامك مهمة عسيرة .

لقد زارنى بالامس رجل أنت تدعوه (ديكون) أما أنا

فقد فهمت منه أنه محام . وكانت زيارته عملية ، كما يزور أى انسان أى مكتب للاستعلامات . والفارق الوحيد بين مكتب بارنيت وشركائه والمكاتب الاخرى التى تقوم بالاستعلامات وأعمال البوليس السرى أن المكتب الاول يستمتع بثقة واسعة ، وأنه يؤدى ...

فقاطعه بيشو فى ضجر :

– وأنه يؤدى أعماله مجانا لوجه الخير والعدالة . هذه أغنية سمعتها مرارا وتكرارا امض فى حديثك .. وأوجز..

– حسنا ... اذن فقد زارنى هذا المحامى أمس . . . وقدم الى طردا صغيرا لم يقل لى عنه اكثر من أنه يحتوى على شيء ثمين يراد نقله الى لندن .. وطلب الى أن أقوم بمهمة نقل الطرد فقبلت ... لان مكتب بارنيت وشركاه مفتوح لخدمة الجميع بالامانة والاخلاص .

ولكن يجب أن تصدقنى اذا قلت لك اننى أجهل محتويات هذا الطرد . فقاطعه بيتشو فى تهكم :

– أحقا تقول ؟ اذن فسوف يدهشك أن تعلم أن هذا الطرد يحتوى عقد (كيلمان) الذى يقدر ثمنه بثمانين ألفا من الجنيهات .

فتح بارنيت عينيه كأنه لا يصدق أذنيه ... ثم عاد فهز كتفيه بقلة اكتراث وقال :

– هذا نبأ مدهش حقا .. ولكنه لا يغير من طبيعة الموقف .. فمكتب بارنيت وشركائه يؤدى ...

فعض بيتشو على شفته فى غيظ وحنق . وأشار الى رجل من رجال البوليس السرى كان يحرس الباب . فاقترب الرجل من طاولة فى أحد الاركان . وحمل الى بيشو صندوقا

صغيرا من الورق المقوى فتناوله هذا وقال :

— هو ذا الصندوق الذى كنت تحمله فى جوف الكتاب الذى سقط منك عندما فقدت وعيك .

ورفع غطاء الصندوق وأخرج منه عقدا بديعا من اللؤلؤ واستطرد :

— وها هو عقد كيلمان المشهور ..

فنظر بارنيت الى العقد كمن يريد أن يلتهمه بعينيه ثم قال :

— هل تسمح لى بأن أراه عن كثب ؟

فقدمه اليه بيتشو .. وفحص بارنيت حبات العقد تحت ضوء الشمس بامعان واهتمام . ثم قال :

— يكون من حسن حظك أن تبيع هذا العقد بثمانين جنيها .. انه نموذج دقيق لعقد كيلمان المشهور .. بيد أن جميع لآلئه مصطنعة ..

فدهش بيتشو واختطف العقد من يد بارنيت ، وفحصه بدوره . ثم قال ببطء :

لقد بدأت أعتقد أنك تقول الصدق لاول مرة فى حياتك .. ولكن ماذا تستنتج من كل هذا ؟

فأجاب بارنيت وعلى شفتيه تلك الابتسامة الخبيثة التى لا تبشر بخير :

— أعتقد أن هذا الشقى المدعو ديكون قد خدعنا معا .. ومما لاشك فيه أنه شعر بأنك تراقبه .. وأنك تعلم بأنه ينوى تهريب العقد بأسرع ما يمكن .. فخطر له أن يلجأ الى .

— اذن لماذا وضع بين يديك عقدا زائفا عوضا عن العقد الحقيقيى ؟

فهز بارنيت كتفيه وأجاب :

— يظهر أن هذا الرجل أدهى مما تظن يا بيتشو .. ولكن لا .. صبرا يا بيتشو .. هب أن هذا الشقى لم يفعل كل ذلك الا بقصد التضليل . هب أنه زارنى خصيصا لكى يوهمك بوجود صلة بيننا حتى اذا اتصل بك نبأ سرقة العقد .. وعلمت أننى أنوى الرحيل من باريس بالطائرة .. أسرعت الى مطاردتى .. وتعقب آثارى .. وفى هذه الاثناء .. يكون هو قد نجح فى تهريب العقد من طريق آخر .. الى بلد غير لندن .

فنهض بيتشو واقفا وهو يهتف :

— يا الهى ..

وانطلق من الغرفة مسرعا .. وتبعه البوليس السرى الذى كان يحرس الباب .

وابتسم بارنيت .. وأصلح من هندامه بقدر ما استطاع .. وخرج من الغرفة وهو آمن مطمئن .

وما كاد يصل الى حظائر الطائرات حتى سمع أحد الموظفين يعلن قرب رحيل احدى الطائرات الى امستردام .. فقرر بارنيت فجأة تعديل برنامج سفره .. وهرول الى تلك الطائرة ..

وبعد أربع ساعات .. كان بارنيت جالسا فى حانوت فان ريبر وبين يديه عقد كيلمان المشهور ..

قال الجوهرى :

— اننى على استعداد لأن أنقدك ألفا من الجنيهات ثمنا لهذا العقد ..

فأجاب بارنيت :

– وأنا على استعداد لبيعه بخمسين الفا من الجنيهات .

فتنـــاول الجوهرى العقـد . ونقده المبلغ .. وانصرف بارنيت وهو مرتاح الى عمل يومه .

وكان فى باريس رجل آخر لا يقل عنه ارتياحا .. وذلك هو ميلار صانع المجوهرات الزائفة . الذى ايقظه بارنيت من نومه فى الصباح الباكر . ونقده ثمانين جنيها ثمنا لانموذج عقـد كيلمان .

٣ اللعبـة القـاتلة

كان بيشو يجد لذة حقيقية فى صحبة بارنيت . ولولا المصادفات السيئة التى اعتادت أن تجمع بينهما فى ظروف غير مرغوب فيها اذن لمـاذا كان هناك انسان يأنس اليه بيشو ويرتاح الى عشرته . كما يأتنس الى بارنيت ويرتاح اليه .

ذلك لان هذا الاخير كان فى الظروف العادية انسانا دمث الخلق .. طيب المعشر ، حاضر الذهن ، حلو الحديث .

أما فى ميدان العمل . فهو شيطان مريد .

وكان بيشو اذا مر بمكتب بارنيت ووجـده مغلقـا . أوجس شرا وراح يبحث عنه فى كل مكان . قبل أن يقدم على عمل من أعماله (المجانيـة) .

أما اذا وجد المكتب مفتوحا . فأنه يتنفس الصعداء ويدخل فى غير تردد ليقضى ساعة أو بعض ساعة مع صديقـة وغريمه الداهيـة .

انصرف الاثنان من مكتب بارنيت ذات مساء . وكـان بيشو فى حالة نفسية غير عاديـة ذلك أن بضعـة أسابيـع

انقضت دون أن تقع جريمة تستحق الذكر .. ودون أن تجمع الظروف والمصادفات السيئة بينه وبين بارنيت فى ميـدان النضـال .

وقد انتهز بارنيت تلك الفرصة .. فدعا صديقه لتناول طعام العشاء وقضاء السهرة فى مطعم فندق (باليه رويال) حيث أعلن عن وجود احدى فرق الموسيقى الهنغارية .

دقت الساعة الثانية صباحا قبل أن يفكر بيشو وبارنيت فى الانصراف بعد طعام فاخر .. وشراب جيد .. وسهرة بديعـة .

وفرغت الفرقة الموسيقية من عملها .. وشرع القوم فى الانصراف فتنهد بيشو أسفا على تلك السهرة الطريفة . . وتبرما بمهام الوظيفة التى يتعين عليه الاضطلاع بمسئولياتها فى صباح اليوم التالى .

قال وهو يهز رأسه :

– لقد أصبح العمل عاديا بحالة تدخل السأم على النفس .. وصارت مهمة رجل البوليس قاصرة على فحص الجريمة فحصا سطحيا ، وتكوين رأى فيهـا .. وحصر الشبهة فى انسان . والقاء القبض على المتهم .. ثم البحث عن أدلـة الادانـة .

ذلك هو عمل رجال البوليس السرى فى الوقت الحاضر.. ولو انضم شرلوك هولمز الى قوة البوليس لما استطاع أن يفعل غير ذلك .

فقال بارنيت فى لطف :

– ربما كنت على حق .

فأجاب بيشو :

- بل اننى على حق .. وما عليك الا أن ترافقنى فى احدى القضايا التى يوكل الى أمر تحقيقها .. لترى أن خطوات العمل لاتختلف عما ذكرت .

فقال بارنيت دون أن يبتسم ودون أن تنم لهجته عن السرية والتهكم :

- بودى أن أرافقك .. كما رافقتك فى قضايا سابقة .. وكل رجائى أن تكون أساليبك فى التحقيق قد تغيرت .

وفى هذه اللحظة .. لفت أنظارهما ثلاثة أشخاص فى السهرة كانوا يهبطون السلم الموصل بين فندق (باليه رويال) ومطعم الفنـدق .

كانت جميع الدلائل تدل على أنهم فى حالة سكر بين ..

وكان اثنان منهم يرتديان ثياب السهرة .. أما الثالث فكان يرتدى ثوبا رماديا .. ويسير بين زميليه وهو عارى الرأس .

قال بيشو وهو يشير الى الرجل الثالث :

- هل ترى هذا الرجل يا بارنيت ؟ ! انه لويس نيستون .. الذى لولا ادمانه الخمر لكان من أعظم رجال المال فى هذا البلـد .

فسأله بارنيت فى شىء من قلة الاكتراث :

وزميلاه ؟ فأجاب بيشو :

- انهما مثله من رجال المال والاعمال .. وأطولهما قامة هو أندريه كاستيللو .. أما زميله فيدعى جول هاميل .

ثم نظر الى بارنيت فى خبث ، واستطرد بلهجة التحذير :

- اذا نزل بأحد هؤلاء الثلاثة مكروه ، فاننى لا أغفر لنفسى أننى أرشدتك اليهم ، ولا أتردد فى ايقافك موقف

الاتهـــام .

فابتسم وأشعل لفافة تبغ .

ومر الرجال الثلاثة بالقرب منهما وهم يترنحون ..

قال لويس أنيستون وهو يلقى بيديه على كتفى زميليه فى لطف :

- أرجو أن تكونا قد فهمتمانى . ان الشغل شغل كماتعلمان .. ولكن لا يجب أن تعتقدا بأننى رجل قاسى القلب ، فأنا سفوق بزوجتى وأولادى وجميع الناس .. فكونا على ثقة من أننى لن أمتنع عن مساعدتكما والتعاون معكما ما استطعت الى ذلك سـبيلا .

فقـال هاميل :

- انك رجل كريم الخلق يا انيستون .

وقـال كوستيللو :

- دعنا نتناول طعام الغذاء معا يوم الثلاثاء القـادم يا انيستون .. فربمـا استطعنا يومئذ أن نعرض عليك مشروعا يهمك .

- اننى أقبل دعوتك بكل سرور .

قـال هاميل :

- ولا تنس أن تحضر معك أولادك .

فصاح انيستون :

- أما هذا فلا .. اننى لا أنسى صغارى الاعزاء أبدا .

ثم وقف فى مكانه ، وضم قبضة يده اليمنى ، وبسط سبابته وصوبه الى جهة هاميل على شكل مسدس ، وأحدث بفمه صوتا كانطلاق المسدس ، فانفجر الثلاثة ضاحكين ، ومضوا فى سبيلهم الى الباب ر وهناك صافح أنيستون زميليه

بجذة السكارى ، وعاد أدراجه ..
قال بارنيت :
– هل يقيم أنيستون فى هذا الفندق ؟
فأجابه بيشـــو :
– انه يقيم هنا بصفة دائمة ، وله فى الفندق جناح فاخر لم يتركه حتى فى أسوأ أيامه عندما كان يعلم علم اليقين أن مضارباته توشك أن تهوى به الى حضيض الافلاس . واننى أذكر من مجازفاته المالية أنه ..
وراح بيشو يسرد على بارنيت قصة طويلة عن مضاربات انيستون ومغامراته ، فهم منها بارنيت أن صديقه يضغن على انيستون لانه ضارب مرة بسندات شركة كان بيشـو يستثمر فيها أمواله ، وانتهت هذه المضاربات بافلاس الشركة ، وضاع نصف الاموال التى ربحها بيشو بعرق جبينـــه .
وختم بيشو قصته بأن قـال :
– وقد قررت منذ ذلك العهد الا أستثمر أموالى فى الاسهم والسندات قط .. وأن أستبدل أموالى المدخرة بنقود ذهبيـة لايخشى عليها شر المضاربات وهبوط الاسعار فقال بارنيت :
– أشكر لك هذا الايحاء يا عزيزى بيشو .. لقد فهمت الآن من كلامك أنك تمقت رجال المال الذين يغامرون بأموال الجمهور .. وعليه فسأضع نصب عينى أن أفتك فى أقرب فرصة باثنين أو ثلاثة من هؤلاء الماليين .
فقال بيشو وهو يرتدى معطفه استعدادا للرحيل :
– كلا .. اننى أريد مخلصا الا أراك متورطا فى احدى الجرائم .. يجب الآن أن تنصرف ، اذ يتعين على أن أذهب

الى عملى مبكرا فى صباح الغد .
وشق الاثنان طريقهما بين الموائد . ومرا فى طريقهمـا بالمكان الذى وضع به جاز التليفون .
وكان أحد موظفى الفندق يتحدث بالتليفون وعلى وجهه علامات الانزعـاج . وقـد التقطت اذن بيشو كلمة من حديث الموظف . جعلته يقف فى مكانه جامدا .
وما ان فرغ من حديثه حتى اقترب منه بيشو وسأله :
– هل كنت تستدعى أحد الاطباء تليفونيا لان أحد نزلاء الفندق اطلق الرصاص على نفسه ؟
– نعم ياسيدى .
– ومن هو هذا النزيل الذى انتحر ؟
– انه مسيو لويس انيستون .. ولا شك أنك سمعت باســمه . فقطب بيشو حاجبيه .
كان هذا النبأ مما يهتم به رجال الصحافة لانهم يستطيعون أن يفسحوا له مجالا فى الصفحات الاولى من جرائدهم .
أما بيشو . فكان يرى فى هذا النبأ خطرا يهدد النـوم الهنىء الذى كان يحلم به بعد تلك السهرة البديعة .
بيد أنه لم يحـاول التملص من مسئوليات الوظيفـة وتبعاتها ومتاعبها فقـال :
– من الاوفق أن ألم بتفصيلات الحادث الملمة بسيطة .
فصعد السلم الموصل بين المطعم والفندق . وشـعر ببارنيت يتبعه عن كثب . فنظر اليه نظرة معنوية فقـال بارنيت :
– ألم تطلب الى أن أرافقك فى احدى القضـايا التى تضطلع بتحقيقها ؟

فصمت بيشو .. ودخل الاثنان مصعدا ارتفع بهما الى الطابق الأول .

قال بيتشو وهو يخلع قفازيه :

ـ لقد كنت دائما اعتقد أن انيستون ليس بالشخص العادى . وأن حياته لابد أن تنتهى بفاجعة . فاما الافلاس. وأما الانتحار ، لكن حدثنى بالله .. هل كان يبدو على وجهه أن هناك ما يهمه ويحمله على ايراد نفسه موارد الهلكة؟

وكان بيشو يتكلم بقلة اكتراث .. ولو قد طلب اليه أن يصرح بشعوره فى تلك اللحظة لاعترف بأنه يشعر بالارتياح لهلاك الرجل الذى كان سببا فى ضياع نصف ثروته

استفسر بيشو من أحد الخدم عن الناحية التى يقع فيها جناح انيستون وطرق الباب ففتحه رجل ممتقع الوجه. عرف فيه بيشو مدير الفندق .

ذكر بيشو اسمه . ومهنته . فتنحى الرجل عن الطريق. .. وسمح له ولصاحبه بالدخول .

قال مدير الفندق بصوت ينم عن الاسى :

ـ هذه نكبة مزعجة ياسيدى .

فسأله بيشو :

ـ هل كنت موجودا عند وقوع الحادث ؟

ـ كلا ياسيدى .. كنت فى مكتبى بالطابق الارضى .

فتركه بيشو .. واجتاز الردهة . وعندئذ فتح أحد الابواب . وأطل منه رجل متقدم فى السن شاحب اللون .

سأله بيشو : من أنت ؟

ـ اسمى فاريل ياسيدى . وأنا خادم انيستون الخاص.

ـ هل كنت هنا عندما وقع الحادث ؟

ـ نعم ياسيدى .

ـ وأين مسيو انيستون ؟

ـ فى مخدعه ياسيدى .

وانتقلوا جميعا الى غرفة انيستون .. يتقدمهم الخادم فاريل. ولما فتح الخادم باب الغرفة . التفت بيشو الى مدير الفندق وسأله فى أدب :

ـ هل أجدك فى مكتبك اذا دعت الضرورة الى استجوابك؟

فأومأ مدير الفندق برأسه علامة الايجاب وانصرف .

كان لويس أنيستون ممدا على ظهره فوق الفراش .. وقد انحدر رأسه الى اليسار فظهر المكان الذى دخلت منه الرصاصة التى قتلته . والمكان الذى خرجت منه فى مؤخرة الجمجمة .. ولم يكن ثمة شك فى أن الرصاصة أطلقت عن كثب من الرأس ، فأصابت العين اليمنى ونفذت منها . بعد ان تركت فى محجر العين أثرا مخيفا .

وكان المسدس الذى انطلقت منه الرصاصة لا يزال فى يد أنيستون .

قال بيشو بصوت مرتفع :

ـ ان أصبع السبابة لا يزال فوق زناد المسدس .

قال ذلك وجلس على حافة الفراش دون أن يظهر على وجهه أثر من آثار الانفعال والتأثر .

أما بارنييت فانه راح يقلب البصر فى أنحاء الغرفة .

كان غرفة أنيقة مؤثثة بأثمن قطع الرياش ، وبها نافذتان لاحظ بارنييت فى الحال انهما موصدتان من الداخل. ولم يكن هناك من آثار الاضطراب غير علبة من الورق المقوى وأخرى من ورق اللف وخيطا دقيقا وجدت كلها فوق

طاولة فى أركان الغرفة ، ويدل وجودها على أنها أثار طرد أو حزمة فتحت أخيرا على أن علبة الورق كانت فارغة وليس بها ما يدل على طبيعة المحتويات التى أخذ منها .

وكان انيستون لا يزال مرتديا الثياب التى شوهد بها وهو يودع صديقيه .

التفت ببشو الى خادم القتيل وساله بهدوء :

مـاذا حدث ؟

فأجاب الخادم :

كان مسيو أنيستون قد دعا أثنين من أصدقائه لتنـاول طعام العشاء فقاطعه بيشو :

ـ أعلم ذلك . ماذا حدث بعد أن ودعهما وعـاد الى

ـ انه قصد الى غرفة نومه مباشرة .

الى جناحه الخاص ؟

ـ وهل ظل باب هذه الغرفة مفتوحا ؟

ـ كان مفتوحا فى بادىء الامـر فدخلت لاتلقى أوامر سيدى عما يجب على أن أفعله فى الصباح . فطلب الى أن أوقظه فى الساعة الثامنة .

عندئذ سألته عما اذا كان يحتاج الى لاساعده فى خلع ثيابه . ولكنه افهمنى أنه ليس بحاجة الى مساعدتى فانصرفت ونهض هو بنفسه فاغلق باب غرفته .

وماذا فعلت بعد ذلك ؟

ـ ذهبت الى غرفة الاستقبال لتنظيمها .. وبينما كنت أفعل ذلك سمعت الطلق النارى .

ـ هل تعرف شيئا من الاسـباب التى حملت مسيو أنيستون على الانتحار ؟ .

ـ لست أعرف لانتحاره سـببا يا سيدى ؛ بل الامر بالعكس .. لم يكن هناك ما يدعوه الى اليأس والانتحار على الاطلاق ، لأنه كان موفقا فى أعماله ومضارباته المالية . ولاسيما فى المدة الاخيرة .

فأطرق بيشو برأسه . وفكر لحظة ثم سأل :

ـ وأين زوجته ؟ .

ـ انها تقضى الصيف مع أولادها على شاطىء(الريفييرا)

وكان مسيو أنيستون ينتظر عودتهم غدا .

وهنا سأل بارنيت :

ـ ماذا كان فى هذه العلبة ؟

وأشار الى علبة الورق المقوى . فنظر اليها الخادم ثم أجـاب :

ـ لا أعلم ياسيدى . ويغلب على ظنى أن أحد الضيفين قد تركها وقد وقع بصرى عليها للمرة الاولى فى غرفة الطعام . وبعد انصراف الضيفين قصد مسيو أنيسـتون الى غرفة الطعام ، وحمل العلبة ، وذهب بها الى غرفة نومه .

ـ ألم يتحدث القوم عن هذه العلبة على مسمع منك ؟

ـ كلا ياسيدى . من المحتمل أن يكونوا قد تحدثوا عنها فى غيابى . لاننى شعرت بأنهم يرغبون فى التحدث فى مسائل خاصة .. فانصرفت من غرفة الطعام بعد أن قـدمت اليهم أقـداح القهوة .

وهنا نظر بيشو الى بارنيت فى دهشة وسأل :

ـ ماذا تبغى من وراء هذه الاسئلة ؟

ـ فابتسم بارنيت ولم يجب .

وفى هذه اللحظة سمع القوم طرقا بالباب . ففتحـه بارنيت .

وكان القادم هو طبيب البوليس . وقد شرع فورا فى فحص الجثة .

وانتهز بارنيت هذه الفرصة ... وقصد الى غرفة الاستقبال .. ثم انتقل منها الى غرفة الطعام .

كانت المائدة لاتزال تحمل بقايا طعام فاخر ، وقد امتلأت أقداح القهوة ببقايا لفافات التبغ .

على أن بارنيت لم يجد فى بقايا الطعام ما يهمه . فأخذ يتأمل الصور الفوتوغرافية العديدة التى تزين جدران الغرف

كانت كلها تمثل لويس انيستون مع زوجته وأولاده فى أوضاع شتى وأماكن مختلفة . وهى اذا دلت على شىء فعلى أن الرجل كان يحب أسرته حبا جما ، ويشعر بالسعادة بين أولاده الصغار .

ووقع بصر بارنيت فوق طاولة فى أحد أركان الغرفة على لعبة عجيبة .. هى عبارة عن دجاجات صغيرة من الخشب ، تحرك رؤوسها وتلتقط الحبوب بطريقة آلية مبتكرة ..

وقد كان يعبث بهذه اللعبة ويفكر حين شعر فجأة بوجود بيشو على مقربة منه ..

قال بيشو ساخرا :

– أهكذا تقضى وقتك ؟

فأجاب بارنيت :

– انها فى الحق لعبة مبتكرة طريفة .

ثم التفت الى الخادم وسأله :

– هل هى لعبة واحد من أولاد مسيو أنيستون ؟

فأجاب الخادم :

– لقد أحضرها مسيو أنيستون معه هذا المساء ليعطيها لابنته غدا ، وقد اعتاد أن يبتاع كل ما يقع عليه بصره من لعب الاطفال ... لانه كان يحب أولاده حبا جما ..

فنظر بيشو الى بارنيت طويلا ثم قال فى هدوء :

– هل لديك المزيد من أمثال هذه الاسئلة السخيفة ؟..

هلم بنا .. يجب أن أعود الى منزلى ..

وانصرف ، فتبعه بارنيت . وهبط الاثنان فى المصعد معا . سأل بارنيت فجأة :

– هل وجدت شيئا ؟؟

فنظر اليه بيشو نظرة ساخرة وأجاب :

– ماذا كنت تتوقع أن أجد ؟

– المفهوم بصفة عامة أن رجال البوليس يخرجون من كل حادث بأثر يرشدهم آخر الامر الى الحقيقة .

– ان أنيستون مات منتحرا . فأى أثر تريد ؟

فسأل بارنيت ببساطة:

– ولكن لماذا انتحر ؟

فوقف بيشو فى مكانه ، ثم واصل السير دون أن يجيب.

لو أن انسانا آخر غير بارنيت ألقى عليه هذا السؤال لما نجا من سخريته وتهكمه . وقد أوشك بيشو أن يسخر فعلا من صاحبه . ولكنه عاد فضبط نفسه . وتذكر أن كلام بارنيت كان دائما جديرا بأن يسمع ، مهما بدا من شذوذه وتعارضه مع المنطق .

ولم يكن بيشو بالرجل الذى يعترف بالهزيمة والعجز، فقال محدثا صاحبه :

- قابلنى غدا اذا استطعت .. فأذكر لك الاسباب التى حملت أنيستون على الانتحار .

لم يكن ثمة شك فى أن لويس أنيستون مات منتحرا .. فقد كانت نوافذ غرفته مغلقة من الداخل .

وكان من المرجح كذلك أن الخادم لم يقتل سيده .. لانه بطبيعة الحال أول شخص تحوم حوله الشبهة اذا دلت الظواهر على أن فى الامر جريمة ..

انتحر الرجل اذن .. ومع ذلك فلم يكن فى مظهره عندما رافق ضيفيه الى الخارج ما يدل على أنه مهموم محزون .. ولعل الشىء الوحيد الغامض الذى لفت النظر وقتئذ هو تلك الحركة العجيبة التى بدرت من أنيستون وهو يودع صديقيه .. حين جمع قبضته وبسط سبابته نحو جبهة هاميل بشكل مسدس .

فكر بارنيت فى كل هذا ، وفكر فى علبة الورق الفارغة ، وفى لعبة الدجاج الذى يلتقط الطعام بطريقة آلية ، وفى الصور الفوتوغرافية التى تزين جدران غرفة الطعام .. وتراءت له هذه الاشياء جميعا فى أحلامه ..

وفى اليوم التالى قصد بارنيت الى مكتب بيشو .. وهو واثق من أن مفتش البوليس سيتجنب مقابلته بحجة انهماكه فى العمل ، ولكن ذلك لم يكن ، فقد استقبله بيشو فى الحال .

سأله بارنيت :

- هل عرفت الاسباب التى حملت أنيستون على الانتحار ؟

فأجاب بيشو مقتضبا :

- كلا .. فقد قرر جميع الذين استجوبتهم أن الرجل كان ناجحا فى عمله فى المدة الاخيرة .. وأنه أصاب فى المضاربات أرباحا طائلة .. ومهما يكن من أمر فاننى ما زلت أبحث .

- هل قابلت كوستيللو وهاميل ؟

- لقد بعثت أستدعيهما . وأنا أنتظر قدومهما بين لحظة وأخرى .

وتناول بيشو تقريرا مكتوبا على الآلة الكاتبة .. وشرع فى دراسته بامعان .

كان يريد بدوره أن يلقى على بارنيت بضعة أسئلة .. ولكنه لم يفعل .

كان يشعر بالضجر وضيق الصدر لانه عجز عن معرفة الاسباب التى حملت أنيستون على الانتحار .. ويشعر نحو بارنيت بالمقت والكراهية لانه أثار هذه المسألة دون أن يخطو خطوة واحدة لمعرفة جوابها .

بيد أن كبرياءه منعته من أن يسأل بارنيت رأيه .. أو يطلب معونته .

ولعل بارنيت شعر بما يجول فى خاطر بيشو .. ولعله أراد الامعان فى اذلاله واظهار عجزه ، لانه لزم الصمت ، ولم يتطوع بكلمة واحدة تضىء السبيل أمام مفتش البوليس ...

واستمر بارنيت يدخن فى هدوء وسكون .. الى أن أعلن أحد الموظفين قدوم كوستيللو وهاميل .

عندئذ اعتدل بيشو فى مقعده ورأى كوستيللو وهاميل يدخلان .. ولكنه لم يفكر فى مطالبة بارنيت بالانسحاب .. رغم أن اللوائح والقوانين تحتم ألا يستجوب الشهود بحضور الغرباء .

تحول بيشو الى مسيو كوستيللو وقال لـه :
ـ اننا نبحث عن الاسباب التي حملت مسيو أنيستون على الانتحار ، فهل كنت تعرف الفقيد منذ زمن بعيد ؟
ـ اننى أعرفه منذ ثمانية أعوام أو تسعة .
ـ هل تعرف سببا لانتحاره ؟
ـ كلا يا سيدى .. لقد كان نبأ انتحاره مفاجأة مزعجة .. كلنا نعلم أنه أصاب من المضاربات فى المدة الاخيرة أرباحا عظيمة . وقد لاحظنا أمس ونحن فى ضيافته انه كان فى حالة نفسانية حسنة ، بل انه كان شديد الاغتباط بعودة أسرتـه .

هل حدث مرة أنـك خسرت بعض أموالك فى احـدى الشركات التى أنشأها ؟
ـ كـلا .
ـ هل تعلم أن فى استطاعتنا التحقق من صدق اقوالك؟
فابتسم كوستيللو وأجاب :
ـ لا أعلم لماذا تلقى على مثل هذا السؤال ياسـيدى المفتش .. اننى رجل أتكلم بصراحة ، وأعمل فى وضح النهار وفى استطاعة السلطات ذات الشأن أن تفحص دفاترى وتتحقق من صدق أقوالى .
ـ أنا أعلم أنك من رجال المال .. فهل كنت فى المدة الاخيرة موفقا فى المضاربات مثل صديقك أنيستو ن؟
فأجاب كوستيللو فى صراحه :
ـ كلا يـ اسيدى ، الواقع أن خسائرى فى المضـاربات الاخيرة كانت جسيمة .. لاننى أستثمر كل أموالى فى الشركة الاقطان الدولية .. وقد هبط سعر سندات هذه الشركة هبوطا

عظيمـا .
قال ذلك وأخرج من جيبه لفافة تبغ وأشعلها بمشعل خاص .
وقد لفت هذا المشعل نظر بارنيت ، لانه لم يكن من المشاعل المألوفة .
كان يختلف عن المشاعل العادية بشكله ، وبأنه يحدث وهجا ، ولا ينتج لهيبا قال بجرأة :
ـ هذا اختراع مبتكر ، أليس كذلك ؟ اننى لم أر قط مشعلا كهذا .
فنظر بيشو الى بارنيت مستنكرا ، لانه قطع حبل الاستجواب بهذا السؤال السخيف أما مسيو كوستيللو فقد قدم المشعل الى بارنيت وهو يقول :
ـ هذا المشعل من اختراعى ، وقد صنعته بنفسى .
ففحص بارنيت المشعل ، وقال وفى عينيه نظرة اعجاب:
ـ كم أود أن أخترع مثل هذه الادوات .. يخيل الى أنك تعلمت فى بعض المدارس الفنية أو الصناعية .
فتردد كوستيللو لحظة ، ثم أجاب :
ـ اننى بدأت حياتى العمليـة فى مصنـع للادوات الـكهربائية .
وساد الصمت بضع دقائق ، ثم التفت بيشو الى مسيو هاميل الذى لزم جانب الصمت المطلق حتى تلك اللحظة ، وقنع بالاصغاء الى الاسئلة والاجوبة ، والنظر الى المتـكلم والمخاطب .
سأله بيشو :
ـ هل أنت شريك لمسيو كوستيللو يا مسيو هامل ؟

فأجاب هاميل :

ـ نعم يا سيدى .

ـ هل تعرف من شئون مسيو أنيستون أكثر مما يعرفه مسيو كوستيللو ؟

ـ لا أظن ذلك .

ـ ماذا كان موضوع الحديث الذى دار بينكم اثناء تناول الطعام فى الفندق ليلة أمس ؟

فأجاب مسيو هاميل فى غير تردد :

ـ دار الحديث بيننا حول ادماج شركة الاقطان الدولية التى أساهم فيها مع صديقى كوستيللو .. بشركة المنسوجات التى أنشأها مسيو أنيستون ، وقد ارتفع سعر أسهم شركة المنسوجات فى المدة الاخيرة . . وقابل هذا الارتفاع هبوط عظيم فى سعر أسهم شركة الاقطان الدولية . وقد خطر لنا أن اندماج الشركتين ربما يؤدى الى رفع أسعار اسهمهما معا .

ـ وماذا كان رأى أنيستون فى موضوع الادماج ؟

فقلب هاميل يديه وأجاب :

ـ لم يجد أن هناك فائدة تعود عليه من عمليات الادماج .. وقد عرضنا عليه بعض عروض وامتيازات .. ولكنه لم ير فيها الكفاية .

ـ ألم يؤد عدم الاتفاق الى سوء تفاهم بينكما وبينه ؟

ـ سوء تفاهم ! كلا .. اذا كان رفض رجال المال والاعمال قبول أحد الاتفاقات يؤدى الى سوء تفاهم .. اذن لتخاصم جميع الماليين .

وهنا سعل بارنيت وسأل :

ـ ماذا كانت أول وظيفة هامة شغلتها يا مسيو هاميل؟

فنظر اليه هاميل دون أن يحول رأسه . وأجاب :

ـ كنت رئيسا لقسم المبيعات فى شركة المصنوعات الفرنسية :

وهكذا انتهى استجواب الرجلين اللذين قضيا آخر سهرة مع لويس أنيستون .. دون أن يخرج بيشو من هذا الاستجواب بأية نتيجة :

وانصرف الرجلان .. ونظر بيشو الى بارنيت كما ينظر أحد أكلة لحوم البشر فى مجاهل أفريقيا الى رجل من البيض .. وقال له ساخرا :

ـ لماذا لا تلتحق بخدمة البوليس ؟ ان ادارة الشرطة بحاجة الى رجال بارعين على شاكلتك :

فقابل بارنيت هذا التهكم بقلة الاكتراث . وأجاب :

ـ وهل تعتقد أن الالتحاق بخدمة البوليس ينشط الافهام الجامد ، والعقول المظلمة ، ويعلم الانسان أن يميط اللثام عن جريمة قتل ؟

فحبس بيشو أنفاسه كأنه لا يصدق أذنيه :

قال وهو لايحول عينيه عن وجه بارنيت :

ـ عن أية جريمة قتل تتكلم ان أنيستون قد أطلق الرصاص على نفسه . فأجاب بارنيت بهدوء :

ـ نعم .. ان أنيستون أطلق الرصاص على نفسه . ولكن ذلك لايمنع من اعتبار الحادث جريمة قتل .

ـ هل تناولت شيئا من الشراب ؟ هل أنت ثمل ؟

كلا .. ولكن أنيستون كان ثملا .

فانفجر بيشو قائلا :

ـ هل تريد أن تقول لى ان الانسان يجوز أن يفرط فى الشراب الى الحد الذى يطلق فيه الرصاص على نفسه وهو فى مركز مالى يحسده عليه الجميع ؟

فهز بارنيت رأسه وأجاب :

ـ انهم جعلوه يطلق الرصاص على نفسه .

ـ ماذا تعنى ؟ هل تعنى أنهم هددوه بفضيحة ما .. فلم يجد خلاصا من التهديد والفضيحة الا بالانتحار ؟

ـ كـلا . وأطرق بارنيت برأسه ..

كان واثقا من أن أنيستون لم يذهب ضحية تهديد.. فان ملامح وجهه وهو يودع صديقيه لم تكن ملامح الرجل الذى تلقى فى التو واللحظة تهديد بفضيحة ما .. بل لم تكن ملامح الرجل الذى يودع غريمين وخصمين .

وبعد .. فقد كان أنيستون متزوجا .. ويحب زوجته وأولاده .. وكان عيبه الوحيد أنه مسرف فى الشراب..فرجل هذا شأنه لايمكن أن يخشى فضيحة تمس شرفه كرجل .. وزوج وأب .

قال بارنيت :

ـ كلا ياعزيزى بيشو .. ان أنيستون لم يقتل نفسه تخلصا من تهديد أو فضيحة ، ومع ذلك فان صديقيه هما اللذان جعلاه يطلق الرصاص على نفسه .

فنظر بيشو فى وجه بارنيت كما ينظر الانسان الى شىء غريب غامض .. كما ينظر الى ابى الهول .

وتصور كوستيللو وصديقه هاميل وهما يضعان فى يد أنيستون مسدسا ويأمرانه بأن يطلق الرصاص على نفسه

.. كما يوضع المسدس فى يد الضابط الخائن .. ويطلب اليه أن يختار بين أن يخرج من الحياة شريفا وبين أن يقدم الى محكمة عسكرية بتهمة الخيانة العظمى .

قال بيشو متهكما :

ـ انهما قالا له « يا لويس .. لماذا لاتطلق الرصاص على رأسك ؟ » .

فاستصوب الفكرة . وأطلق الرصاص على نفسه . أليس هذا ما تعنى ؟

فأجاب بارنيت بهدوء وبساطة :

ـ نعم . اننى أعنى شيئا كهذا .

وصمت لحظة . وجعل يسير فى الغرفة جيئة وذهابا كأنه فى مكتبه . ثم وقف أمام بيشو وقال :

ـ يجب ألا تنسى أن أنيستون كان من الآباء الذين لايقفون عند حد فى تسلية أطفالهم ، وادخال السرور على نفوسهم .

ففتح بيشو فمه . وهم بأن ينهال على بارنيت بسيل من عبارات الهزء والسخرية ولكن شيئا فى ملامح بارنيت جعله يمسك ويضبط نفسه .

واستطرد بارنيت :

ـ لقد كان كوستيللو وهاميل فى مركز مالى لايغبطان عليه .. وكان لابد لهما من عمل شىء . لان أسهم شركة الاقطان الدولية أخذت فى الهبوط ، بينما كانت أسهم شركة المنسوجات فى ارتفاع مستمر .

وقد وجد كوستيللو وهاميل أن فى استطاعتهما انقاذ موقفهما باحدى وسيلتين : اما ادماج الشركتين .. واما حمل

أنيستون على الانتحار ، لان انتحاره فجأة من شأنه أن يحدث فزعا فى الاسواق المالية .. ومن شأنه كذلك أن يؤدى الى هبوط سعر أسهم شركة المنسوجات هبوطا عظيما فينتهزا الفرصة .. ويقدما على ابتياع أكبر كمية ممكنة من أسـهم شركة المنسوجات الفرنسية .

واذا أنت ألقيت نظرة على الصحف التى صدرت منذ ساعة وجدت أن سعر أسهم شركة المنسوجات قد هبط الى الحضيض .. وقد كان من الطبيعى أن يؤدى انتحار أنيستون الى هذه النتيجة .

لقد ذهب كوستيللو وهاميل الى أنيستون .. وعرضا عليه الوسيلة الاولى لانقاذ مركزهما ، وهى ادماج الشركتين، فلما رفض ، لجآ الى الوسيلة الثانية .

فقال بيشو باصرار ، وان تكن ثقته بوجهة نظره قد بدأت تتزعزع :

ـ ثم ...

ـ بيد أنهما ارتكبا هفوة واحدة ، هى أنهما لم يتخذا الاجراءات لحمل أنيستون على كتابة خطاب يقرر فيه عزمه على الانتحار .

ـ ان هناك كثيرين يقتلون أنفسهم دون أن يتركوا خطابا يقررون فيه عزمهم على الانتحار .

ـ هذا صحيح ، ولكنه نادر الوقوع ، وذلك ما جعلنى أفكر فى الامر ..

ـ ثم ..

فمر بارنيت بأصبعه فى شعر رأسه ، وقال :

ـ أصغ الى يا بيشو .. ان من أهم العوامل فى نجاح المجرم الموفق ، والمحتال البارع ، والشرطى الماهر ، أن يكون

ملما بطبائع النفس البشرية ، عالما بغرائز الناس الذين يتعين عليه أن يواجههم فى الميدان .

والمجرم الموفق ، والمحتال البارع ، يجب عليه أن يلقى على نفسه عشرات الاسئلة قبل أن يقدم على انفاذ احدى خططه . فهو يقول لنفسه :

« اذا فعلت كذا .. فماذا يفعل فلان ؟ واذا حدث كذا فماذا يكون من أمر فلان » .

نعم يجب على المجرم أن يكون ثاقب البصر لكى يقطع على خصومه وغرمائه طريق العمل ، ويثب الى الغاية التى يريدها قبل أن يعوقه أحد .

فمعرفة نفسية الناس وغرائزهم وحقائق الطبيعة البشرية شرط أساسى لنجاح المجرم ، كما هى شرط أساسى لنجاح الشخص الذى يترأس قسم المبيعات فى شركة تجارية كبرى كشركة المصنوعات الفرنسية .

ففتح بيشو فمه . ولكنه لم ينطق بكلمة .

ومضى بارنيت فى حديثه فقال :

ـ ان صناعة البيع ، ولا سيما فى المتاجر والشركات الكبرى ، تتطلب معرفة وثيقة بمواطن الضعف فى النفس البشرية ، وانى أذكر عن أحد القائمين بالترويج لمنسوجات أحد مصانع اللعب قوله « ان أفضل وسيلة لمعرفة مبلغ ميل أحد الاطفال الى لعبة ما من اللعب المبتكرة الجديدة هى عرض اللعبة على رجل متوسط العمر من رجال المال والاعمال ، ومعرفة مبلغ التسلية التى تدخلها اللعبة على نفسه » وهى نظرية عجيبة مضحكة .. ولكنها حقيقية .

والواقع أن كل رجل فى مقتبل العمر من رجال المال

والاعمال يحتفظ فى قرارة نفسه بنصيب من شغف الاطفال باللهو والعبث والتسلية ، حتى انك لترى بعض هؤلاء الرجال يلهى طفله بغليونه أو بلفافة من التبغ لكى يلهو هو بلعب الطفـــل .

واذا انت امعنت النظر وجدت أن اكثر الناس الموفقين فى مجازفاتهم المالية يميلون الى اللعب التى يلهو بها الاطفال ، وهذا الميل لايعتبر بالنسبة اليهم ضربا من ضروب الترويح عن النفس فحسب .. ولكنه كذلك جزء من عملهم الاساسى فى الحياة . والحقيقة ان مثل رجل المال والاعمال فى حياته العملية كمثل الطفل ، كلاهما يطيب له اقامة القصور من ورق اللعب أو قطع الخشب . والفارق الوحيد أن رجل المال والاعمال يشيد قصوره ومشروعاته من أوراق النقد بدلا من ورق اللعب .

وفى اعتقادى انه لولا وجود ذلك (الصغار) فى ناحية من نواحى نفس رجل المال والاعمال . لما استقام هذا النظام الاقتصادى البديع الذى تقوم عليه حياة الامم ، والذى هو أساس الفوارق العظيمة بين حظوظ الناس وبين الطبقات المختلفة فى الهيئة الاجتماعية ..

ونظر بارنيت الى بيشو بعينين تتألقان واستطرد بصوت هادىء :

— ولقد كان لويس أنيستون من طراز رجال المال والاعمال الذين يجدون لذة وترويحا فى العبث بملاهى الاطفال ولعبهم.

فسأله بيشو فى ضجر :

— أما زلت تفكر فى تلك اللعبة التى وجدتك تعبث بها فى غرفة الطعام ، واعنى بها لعبة الدجاج الذى يلتقط بمنقاره

وبطريقة أوتوماتيكية ؟

— اننى أفكر فى هذه اللعبة ، وفى أشياء اخرى سمعتها، وفى الصور الفوتوغرافية المثبتة على الجدران ، هل رأيت تلك الصور ؟ كلا ..

— ان احداها تمثل لويس أنيستون وهو يلعب بقطار صغير من القطارات التى يلعب بها الاطفال ، واخرى تمثله كامنا تحت سجاد كأنه يقوم بدور (الدب) لتسلية أطفاله ، وأكثر الصور تمثله وهو بين أطفاله ، وكلها تدل على أن الساعات التى يقضيها مع أولاده هى أسعد الساعات فى حياته.

وكان بيشو يصغى الى كلام صاحبه وهو يعبث بقلم بين يديه . فهز كتفيه فجأة ، والقى بالقلم على المكتب وقال:

— كل ما ذكرته لايدل على أن هناك جريمة قتل .

فقال بارنيت بلطف :

— اننى لم أقع بعد على جميع أدلة الجريمة .. لانها جريمة فنية بارعة ، ارتكبت بطريقة عجيبة ، وفى أحوال شاذة .

لقد كان لويس أنيستون سعيدا مع زوجته وأولاده . وكان موفقا فى أعماله .. وليس هناك ما يثقل ضميره ، ويزعجه . فكيف يحملونه على الانتحار ؟

هب أنك تكتب قصة بطلها لويس أنيستون ، وأنك تريد أن تحمل هذا البطل على الانتحار . فما تفعل ؟ .

فكر بيشو لحظة ، ثم أجاب :

— أوهمه بأنه مريض بالسرطان .

فهز بارنيت رأسه ، وأجاب :

– كلا .. من الممكن ان توفق فى ذلك لو كنت طبيبا ، وليس كوستيللو وهاميل من المشتغلين بالطب ، فلو انهما أوهماه انه مريض بالسرطان لما أخذ كلامهما قضية مسلمة.. وبعد ، فانه لم يكن يلوح على وجهه حين ودع صديقيه ما يدل على أنهما أوقعا فى نفسه مثل هذا الوهم .

فقال بيشو وقد بدأ يستولى عليه الملل والسأم :

– أنت الذى تزعم ان هناك جريمة قتل .. فعليك وحدك ان تثبت الجريمة وتتقدم بالادلة .

فأجاب بارنيت :

– لقد كانت تنقصنى فى بداية الامر أشياء كثيرة لاثبات الجريمة . كل ما كنت أعرفه هو أخلاق أنيستون ومواطن الضعف فى نفسه . ثم بدأت الادلة الاخرى تتعاقب ويأخذ بعضها برقاب بعض . فظهر لنا أن هاميل كان فيما مضى رئيسا لقسم المبيعات فى شركة تجارية كبرى هى شركة المصنوعات الفرنسية ، أى أنه رجل يعرف الطبيعة البشرية ومواطن الضعف فيها .

ثم ظهر لنا أن كوستيللو يستطيع أن يخترع ويبتكر أدوات ميكانيكية . وقد أخطأ هذا الرجل حين أخرج المشعل من جيبه يابيشو ، فهذا المشعل كان أحد الادلة التى تهمنى . ثم هناك بعد هذا وذاك ذلك الصندق الفارغ .

– أى صندوق ؟

– ذلك الصندوق الفارغ المصنوع من الورق المقوى ، الصندوق الذى وجدناه على الطولة فى غرفة أنيستون .

لقد قال الخادم ان أحد الرجلين – كوستيللو أو هاميل – أحضر هذا الصندوق معه . فهل استوليت على هذا الصندوق

وجئت بـه ؟

– نعـم ..

هل استطيع ان اراه ؟

– طبعا .. وتستطيع أن ترى المسدس أيضا .

وتناول بيشو سماعة التليفون ، واتصل بسكرتيره ، وطلب اليه احضار الاشياء التى جىء بها من غرفة أنيستون.

ولزم الرجلان الصمت فترة من الوقت . الى أن جىء بالاشياء المطلوبة .

وقد كان صمت بيشو واستعداده لتلبية مطالب صاحبه دليلا على رغبته الاكيدة فى مجاراته الى النهاية حتى يبين لـه أخطاءه وفساد ظنونه ، ويمهد له السبيل الى هزيمة منكرة لاينساها مدى حياته .

تناول بارنيت المسدس . وفحصه . ثم وضعه فى الصندوق . فوسعه الصندوق تماما.كأنه صنع خصيصا له

وهنا أشرق وجه بارنيت بابتسامة فوز وقال :

هذا ما كنت أتوقعه يا بيشو . انهما قدما اليه المسدس داخل هذا الصندوق :

– وفى اعتقادك أنه أطلق الرصاص على نفسه دون أن يعلم ما هو فاعل ؟

فأجاب بارنيت بغير تردد :

– نعم ... ذلك ما حدث تماما ... انه أطلق الرصاص على نفسه دون أن يعلم ما هو فاعل ..

فعض بيشو على شفتيه غيظا وقال :

– اذن ماذا كان يظن أنه فاعل ؟؟ أكان يعتقد أن اطلاق الرصاص نوع من الهذر والدعابة ، كاختفائه تحت السجاد ليقوم بدور الدب تسلية لاولاده ؟

فتنهد بارنيت وأجاب :

ـ ذلك مايجب اكتشافه .

فاعتدل بيشو فى مقعده وقال :

ـ ولماذا لم تكتشف ذلك بدلا من أن تضيع وقتى الثمين سدى ؟ فقال بارنيت :

ـ لقد خطر لى خاطر يا بيشو . لنترك الحديث فى هذا الآن اراحة لاذهاننا .. ولنذهب لتناول طعام الغداء معا . انك انصرفت الى التفكير العميق خلال الساعة الاخيرة . ويهمنى ألا تصاب بحمى مخية . هلم بنا . اننى أعرف مكانا بديعا نستطيع أن نتناول فيه طعام الغداء . صبرا حتى أبحث عن عنوان هذا المكان .

وتناول دليل التليفون ، وبحث فيه عن اسم ورقم ..

أما بيشو فانه نهض واقفا وتناول قبعته .. وسار فى أثر بارنيت وهو مصمم على أن يتبعه الى النهاية ... الى أن يعترف بخطأه وهزيمته .

وركب الاثنان احدى سيارات الاجرة ، وذكر بارنيت العنوان للسائق .

وقفت السيارة بعد بضع دقائق أمام بيت كبير . . فوثب بارنيت من السيارة ، ونفذ من الباب وقصد الى المصعد ... وقال لعامل المصعد عبارة بصوت خافت لم يسمعها بيشو . .

قال بيشو والمصعد يرقى بهما :

ـ الى أين أنت ذاهب بى ؟ الى مطعم من طراز جديد ؟

فأجاب بارنيت باختصار :

ـ نعم ..

وترك الرجلان المصعد ، وسارا فى دهليز طويل ، ووقف بارنيت أمام أحد الابواب ، ودق الجرس ، ففتحت الباب فتاة رشيقة تلبس مئزر الخدم .

قال بارنيت بثبات :

ـ نحن من رجال البوليس .

ومرق الى الداخل كالسهم قبل أن تتمكن الفتاة من منعه وتبعه بيشو وهو مشدوه مذهول .

وقصد بارنيت توا الى غرفة الاستقبال ، وكان بابها مفتوحا ، وتهالك هناك على أحد المقاعد .

ولحقت بهما الخادمة فى هذه اللحظة وهى تغمغم :

ـ ولكن مسيو كوستيللو ليس موجودا الآن !

وزالت علامات الدهشة عن وجه بيشو ، وحل محلها الغضب ..

هتف بصاحبه :

ـ ما هذه الدعابة السمجة ؟

فقال بارنيت بقلة اكتراث :

ـ هذه دعابة يابيشو ولكنها ليست سمجة ، يجب أن نبحث علنا نجد شيئا ، أنت تذكر موضوع حديثنا طبعا .

وأرسل بصره الى الغرفة المقابلة ، وكان بابها مفتوحا كذلك ، واستقرت عيناه على مكتب هناك . فقام لساعته ، وقصد توا الى تلك الغرفة .

وكان ما لاحظه وجود طائفة من الآلات والادوات الدقيقة مبعثرة فوق طاولة بالقرب من المكتب ، وكلها أدوات تدل على أن صاحبها من هواة الميكانيكا والكهرباء .

وقبل أن يتمكن بيشو من سؤال صاحبه عما يفعل ،

عمد بارنيت الى أدارج المكتب فراح يفتحها ويفتشها ، فألقاها كلها حافلة بالادوات والآلات الصغيرة .

وانتهى بارنيت الى درج فى المكتب وجده مغلقا ، فلم يتردد ، وأخرج من جيبه آلة دقيقة أعملها فى قفل الدرج بلباقة ، ففتح الدرج فى الحال .

أفلتت من شفتى بيشو صيحة استنكار ووثب الى صاحبه ليمنعه من المضى فى عبثه المخالف للقانون .. ولكن بارنيت لم يعبأ به ودس يده فى الدرج ، وأخرجها .. فاذا فيها مسدس يشبه كل الشبه ذلك المسدس الذى انتحر به لويس أنيستون .

غير أن بيشو لم يلاحظ هذا الشبه . وكان شعوره فى تلك اللحظة هو شعور شخص يرى مسدسا فى يد رجل معتوه .

صاح : دع هذا السلاح الخطر أيها الاحمق ..

وأفلتت من فمه صيحة ذعر عندما رأى بارنيت يضع فوهة المسدس فوق عينه اليمنى ويمس الزناد بسبابته .. كما لابد قد فعل أنيستون عندما أطلق الرصاص على نفسه .

هجم بيشو على بارنيت ، وضرب ساعده بقبضة يده ضربة اطارات المسدس من يد ه، وصاح :

ـ كفى عبثا أيها المعتوه ..

ضربة اطارات المسدس من يده ، وصاح :

فنظر اليه بارنيت . وابتسم وقال :

ـ أشكر لك أنك أنقذت حياتى أيها الصديق المخلص..

ولكنى أعتقد أنه لم يكن ثمة ما يدعو الى ذلك .. تأمل هذا المسدس يا بيشو ..

انه المسدس الذى ظن أنيستون أنه يعبث به .

وكانت الخادمة ترقب ما يحدث وهى مشدوهة مذهولة . فلما رأت المسدس فى يد بارنيت غاصت وراء أحد المقاعد وراحت تصرخ ، وتستغيث فوثب بيشو وعزها بعنف وهو يقول :

ـ كفى صراخا يافتاة .. نحن من رجال البوليس : اجلسى والزمى الصمت .

ثم تحول الى بارنيت وقال :

ـ والآن .. ماذا تريد أن تقول ؟

فأجاب بارنيت :

ـ أريد أن أقول يابيشو ان هذا المسدس هو اللعبة التى ظن أنيستون أنه يعبث بها وتناول المسدس مرة أخرى وتركه بيشو يفعل ما يريد .

صوب بارنيت المسدس الى عينه اليمنى .. وضغط على الزناد .. ثم فعل ذلك مرة ثانية ، وثالثة ، ورابعة ، وكان بيشو يسمع فى كل مرة حركه منتظمة صادرة منجوف المسدس

ثم صوب بارنيت المسدس الى عين بيشو ، وضغط على الزناد ..

وحملق بيشو فى فوهة المسدس ، فرأى الظلام فى داخلها استحال الى نور .. وأبصر ـ كما يبصر الانسان على الشاشة البيضاء ـ صور غلام يطلق الرصاص على لص مقنع ..

وأخذت هذه الصورة تتعاقب كلما ضغط بارنيت بأصبع على الزناد .

قال بارنيت فى هدوء :

ـ هذا المسدس هو هدية كوستيللو لاولاد أنيستون.. وهو من اختراعه ، ومن صنعه طبعا .

والمسدس عبارة عن مسدس عادى .. وضعت فى جوفه بطارية كهربائية صغيرة ، وشريط سينمائى يدور حول نفسه ..فمتى ضغط الانسان على الزناد أضاءت البطارية وراء الشريط السينمائى ، وأظهرت الصورة التى رأيتها .

أنها لعبة طريفة مبتكرة يا بيشو .. وقد ذهب بهـا الرجلان الى انيستون .. ولما عرضا عليه مشروع ادماج الشركتين ، ورفض هذا المشروع ، قدما اليه هذه اللعبة فى الوقت الذى رأياه مناسبا .. وجعلاه يجربها ويتحقق بنفسه من مقدار السرور الذى سوف تدخله على نفوس أولاده عندما يقدمها اليهم .

وبعد أن جربها ، أخذا منه أحدهما ، ووضعهـا فى الصندوق .

وقبل انصرافهما استبدلا هذا المسدس بمسدس آخـر حقيقى محشو بالرصاصات التى قتل أنيستون نفسه باحداها .

فصمت بيشو ، وسقط فكه الاسفل ، ووقف كأنـه صخرة صمـاء .

سأل بعد لحظـة :

ومن أدراهما أن الرجل ربما احتفظ باللعبة بعد انصرافهما فلم يعد الى تجربتها ، وتريث حتى يجربهـا أمام أولاده فيقتـل أحدهم ؟

فأجب بارنيت :

— لا تنس أن هـاميل يعرف الطبـائع البشرية ومواطن الضعف فى نفس أنيستون ، وأنه كان يعلم علم اليقين أن أنيستون بما طبع عليه من حب اللهو والعبث لا يمكن أن يصبر على تجربة المسدس فى خلوته مرة أخرة .. وهو لكى

يستوثق من ذلك قد ذكره عند الانصراف بأولاده .. فتذكر أنيستون ضمنا هذه اللعبة .. وبدرت منه تلك الحـركة الشاذة حين جمع قبضة يده وسط أصبعه فى وجه هاميـل بشكل مسدس .

فاطرق بيشو برأسه ، ثم دار بعينيه فى الغرفة باحثا عن جهاز التليفون ، واتصل فورا بادارة البوليس .

٤ – بنـكنوت للبيـع

جاء سيمون لوتشيك من نيويورك ليجرب حظـه فى فرنسا ، وأحضر معه خمس حقائب بها طائفة من الثياب الانيقة التى تسع جسمه بالضبط ، حتى ليخيل للناظر أن ضغطه الدموى اذا اذداد درجة واحدة انفجر الثوب وتمزق شر ممزق .

وأحضر الرجل معه من نيويورك كذلك طائفة مختـارة من القمصان وأربطة الرقبة الانيقة ودبوسا من الماس لربط الرقبة وما لايقل عن ثلاثة خواتم لتزيين أصابعه .

وكان الرجل يمتاز فضلا عن ذلك بأن له عينين صافيتين بريئتين كعيون الاطفال وملامح تدل على النشاط والامانـة والحيوية وتدعو الى الثقة ..

ولو كانت ثيابه الانيقة وتقاطيع وجهه هى كل رأس ماله ، اذن لكان فيها الكفاية ، ولكنه يملك فضلا عن ذلك مبلغا وفيرا من المـال .. ولهـذا كان من حقـه أن ينظر الى المستقبل الباسم بنفس مليئة بالثقة والطمأنينة ..

وكان مسيو لوتشيك رجلا فنانا ، يجيد الى درجـة

الاتقان فن التهويش والتدجيل والضحك على العقول ، فقد أصاب من هذا الفن فى أمريكا ربحا وفيرا فجعل من هذا الربح رأس ماله للمشروع الذهبى العظيم الذى قرر الاستطلاع به فى باريس ·

ولكنه نسى لسوء حظه أن باريس هى بلد أرسين لوبين ·

وقد احتجز سيمون لوتشيك لنفسه جناحا خاصا فى أفخم فنادق المدينة وهو فندق مترو بوليتان · ثم قصد الى بنك فرنسا حيث استبدل نقوده ودولاراته الامريكية بأوراق نقد فرنسية من فئة المئة فرنك ·

ثم قصد الى ادارة البريد حيث أستأجر صندوق بريد خاصا ·· وعاد الى فندقه حيث شرع فى الاستعداد لخوض معركة الحياة ·

وبعد يومين نشرت الصحف ضمن اعلاناتها القصيرة الاعلان التالى :

« يستطيع كل رجل ، أو سيدة ، يشعر بوطأة الازمة الاقتصادية ويريد الحصول على أرباح وفيرة بغير تعب أو مجهود يذكر ، أن يكتب الى صندوق بوستة رقم ١٠٤٩ ويقدم بيانا مفصلا عن حالته الشخصية » ·

وكان صندوق البوستة رقم ١٠٤٩ هو ذات الصندوق الذى أستأجره سيمون لوتشيك ·

وكان من سوء حظ هذا المغامر الامريكى أن جيمس بارنيت قرأ هذا الاعلان ··

تعلم سيمون لوتشيك وهو فى أمريكا أن يقرأ بين السطور فى الرسائل التى ترد اليه وأكسبته التجارب العملية خبرة فى تفهم أخلاق كاتب الرسالة وطبائعه دون أن يراه ·وكانت

استنتاجاته تتحقق وحدسه يصدق فى ٩٩ فى المائة من الحالات التى يهتم بها · ولذلك لم يكن ذنبه انه انخدع بالرسالة التى بعث اليه بها جيمس بارنيت ، بل كان الذنب ذنب الحظ العاثر ، وذنب بارنيت نفسه ، لان هذا الاخير اظهر براعة يحسد عليها فى تدبيج الرسالة التى أوقعت لوتشيك فى الفخ ·

قرأ لوتشيك فى الرسالة أن صاحبها اطلع على الاعلان ، وانه طبع على الكسل والخمول ، وهو لذلك يرحب بالربح الوفير الذى لايكلف تعبا أو مجهودا يذكر ·

وشرح صاحب الرسالة حالته الشخصية بالتفصيل فقال انه رجل مهدم فى الاربعين من عمره ، وانه موظف فى احدى شركات التأمين بمرتب لايكاد يكفى ضروريات الحياة فضلا عن النفقات اللازمة لمعالجة زوجته المصابة بالسل الرئوى ، وتربية أولاده السبعة ، وذكر أن مرتبه لايتجاوز عن خمسمئة فرنك فى الشهر، وأنه لايتوقع الحصول على ترقية أو علاوة فى وظيفته قبل انقضاء خمسة عشر عاما ، وهى مدة ينتظر أن يرزق فى خلالها خمسة عشر طفلا ·

وقد تلقى سيمون لوتشيك عشرات أخرى من الرسائل التى بعث بها أصحابها ردا على ذلك الاعلان الذى يحرك الشهوة الى الربح السهل · ولكنه آثر أن يبدأ باغاثة بارنيت المسكين قبل أن يموت أولاده جوعا ، ويفتك السل الرئوى بزوجته التعسة · فبعث اليه برسالة موجزة حدد فيها موعدا للمقابلة ·

وأقبل بارنيت فى الموعد المحدد وهو كذلك الموعد الذى اعتاد لوتشيك أن يتناول فيه طعام الغداء · ولكن الذنب فى ذلك لم يكن ذنبه ·

ورأى امامه الشخص الذى تصوره حين قرأ الرسالة .

رأى أمامه رجلا يناهز الاربعين من العمر ، ممتقع اللون ، مشعث الشعر ، مهدل الثياب ، محنى الظهر قليلا ، تدل ملامحه بالاجمال على السقم وسوء التغذية .

ورحب لوتشيك بالزائر كما يرحب بضيف عظيم . فاستقبله بثغر باسم ، وشد على يده بحرارة كأنه يعرفه قبل أن تلده أمه . وقال له :

ـ يسرنى كثيرا أن أراك يا مسيو .. يا مسيو بارنيت . انك تأخرت قليلا حتى حسبت أنك لن تحضر ، وأوشكت أن أنطلق الى مطعم الفندق . هل لك فى أن تتناول معى طعام الغذاء ؟

وتأبط ساعده وهبط معه الى غرفة الطعام وجلسا حول احدى الموائد ، وتناول لوتشيك قائمة الطعام وهو يقول :

ـ تستطيع أن تطلب ما يروقك من صحاف الطعام . يامسيو بارنيت ، هنا بعض أصناف قد تروقك .

وراح يقرأ فى قائمة الطعام الاصناف الشهية التى لاينتظر من موظف بسيط ذى سبعة أولاد ان يكون تذوقها فى حياته .

ولما اختار بارنيت الاصناف التى يشتهيها طلب لوتشيك زجاجة من افخر أنواع النبيذ ، وبدأ الاثنان يأكلان ويتبادلان أطراف الحديث .

قال لوتشيك :

ـ لاشك أن العمل فى شركات التامين ليس مما يغبط عليه الانسان . فاكثر الناس يتنكرون لمبادىء الشرف والامانة فى معاملاتهم مع شركات التامين . ولست أعلم فى

الواقع علة ذلك فأنت ترى أحد الناس يعف عن أن يسرق ألفا من الفرنكات من شخص آخر .. ولكنه لا يتورع عن مغالطة الحكومة فى فرنك واحد . فتراه يكذب على موظفى الجمارك لكى يتمكن من تهريب شىء قد لايتجاوز ضريبته الجمركية بضعة فرنكات .

وشأن الناس مع الشركات ،وشركات التامين بصفة خاصة كشأنهم مع الحكومة فترى الواحد منهم اذا سرقت أمتعته أو بضاعته المؤمن عليها غالى أشد المغالاة فى تقدير قيمة الاشياء المسروقة لكى ينال من الشركة أضخم مبلغ يستطيع الاستيلاء عليه .

فهز بارنيت كتفيه وقال :

ـ أعتقد أن النـاس يعتبرن ما يصل اليهم من أموال الحكومات والشركات الغنية ربحا حلالا .

فقال لوتشيك :

ـ بل المرجح عندى أن النفس البشرية تميل بطبيعتها الى الاستيلاء على ما ليس من حقها .. وتميل بالاكثر الى السطو وخرق القانون .

والواقع أن هناك ظروفا لايسع الانسان حيالها الا ان يفكر فى التنكر لابسط مبادىء الامانة والشرف .

هب مثلا أنك ركبت احدى سيارات الاجرة لتعود بها الى منزلك ذات مساء .. ثم وجدت على مقعد السيارة حافظة نقود بها مئة ألف فرنك ، كلها من الاوراق المالية ذات المئة فرنك التى يسهل استبدالها والتعامل بها ، ثم لم تجد فى الحافظة ورقة أو بطاقة تدل على صاحبها .. أفلا تحدثك نفسك بالاستيلاء عليها ؟

فتردد بارنيت لحظة .. ولكنها كانت لحظة قصيرة جدا ..

وذلك أنه شعر بأن الجواب على هذا السؤال هو أساس الصفقة التى يريد لوتشيك أن يعقدها معه .

وقد ألقى الرجل هذا السؤال بمهارة ولباقة .. ودون أن يظهر على وجهه شىء من علامات الاهتمام أو الفضول .

أجاب بارنيت :

- أعتقد أننى لا أتردد فى الاستيلاء على الحافظة .. وقد يبدو ذلك منافيا للامانة نابيا عن الشرف .. ولكنى لا أكتمك أننى لا أتمنى أكثر من أن أجد نفسى أمام حافظة كهذه ، وأنا أواجه هذا الاغراء عمليا لا نظريا .

نعم .. اننى اذا رأيت أمامى مثل هذا المبلغ ، وأنا أعلم أن زوجتى مريضة وبحاجة الى العلاج ، فاننى لاأتردد فى الاستيلاء عليه .

فقال لوتشيك على الفور :

- اننى لا ألومك .. ولو كنت فى مثل مركزك ماترددت فى أن أفعل ذلك .. لسبب معقول .. هو أن الشخص الذى يحمل فى جيبه مئة الف من الفرنكات ويسهو عنها فى احدى سيارات الاجرة .. لاشك يملك فى البنوك مئات الآلاف من الفرنكات .

اننا محوطون بسلاسل من القوانين ، بيد أن ضمائرنا لاتزال كضمائر أسلافنا فى العصور الاولى ، فنحن لانتردد فى الاقدام على جريمة السرقة متى وثقنا من السلامة .. وتأكدنا من أننا لن نضبط .

وساد الصمت بعد ذلك ، وفرغ الرجلان من تناول الطعام،

وقدم لوتشيك الى ضيفه لفافة تبغ من نوع فاخر .

وجد بارنيت فى هذا الصمت فرصة صالحة للتحدث فى الموضوع الذى جاء من أجله ، فغمغم بلسان متعلثم :

- ان الاعلان الذى أذعته فى الصحف و ....

فقاطعه لوتشيك :

- نستطيع أن نتحدث فى هذا فى مكتبى .. وتعال معى

وصعد الاثنان الى الطابق الاول حيث يوجد الجناح الخاص بلوتشيك .. وقصد هذا الاخير الى غرفة المكتب.. وقدم لضيفه مقعدا .. وتهالك هو على مقعد وثير أمام المكتب

وقد وقع نظر بارنيت فوق المكتب على طائفة من الرزم ملفوفة بورق أصفر ومحزومة بعناية .. فتناول لوتشيك بعض هذه الرزم بقلة اكتراث .. وألقى بها الى أحد أركان الغرفة وهو يقول :

- هل تعرف ما هذه ؟

وتناول احدى الرزم ، ومزق غلافها ، ووضع محتوياتها أمام أنف بارنيت .. واستطرد :

- هذه كلها أوراق مالية جديدة من فئة المائة فرنك .

وأشار الى ركن آخر فى الغرفة وقال :

- أنظر . . هذه الحزم تحتوى أيضا على كميات كبيرة من هذه الاوراق المالية ..

ثم ألقى الى بارنيت ببعض الرزم واستطرد :

- خذ منها ما شئت .

ففتح بارنيت عينيه فى دهشة .. وارتجفت أهدابه بسرعه وهتف بصوت متلعثم :

- كل هذه أوراق مالية .. حقيقية ؟

نعـــم ·· وكلها ملك لك ؟ طبعــا ··

ـ ان قيمتها تربى على بضعة ملايين من الفرنكات·

فاضجع لوتشيك فى مقعده وقال :

ـ اننى أغنى انسان فى العالم يا مسيو بارنيت · ·

نعم ·· أعتقد اننى أغنى انســـان ·· لاننى أستطيع أن أحصل على هذه الاوراق المالية بسرعة خمسة آلاف ورقة فى الساعة · اننى أصنع هذه الاوراق ··

فمد بارنيت يده ومس احدى الرزم فى حذر كما لو كانت الرزمة ثعبانا يخشى أن يعضه ، ثم همس فى دهشة :

ـ هل تعنى أن هذه الاوراق مزيفة ؟

فأجاب لوتشيك :

ـ أنا لا أعنى ذلك ، ولم أقل ذلك ، خذ أية كمية من هذه الاوراق ، واذهب بها الى أى بنك ، وقل للصراف انك ترتاب فيها ، واطلب اليه أن يفحصها جيدا ··

كلا يا عزيزى ·· ان هذه الاوراق حقيقية وصحيحـــة ولا زيف فيها ولكنها من صنعى ·

دعنى أسرد عليك قصتها ··

فحبس بارنيت أنفاسه ، وأرهف أذنيه ، وراح يصغى وهو ينقل البصر بين وجه محدثه ورزم الاوراق المالية ·

قال لوتشيك :

ـ نعم يا مسيو بارنيت ، لقد قررت أن أضع فيــك ثقتى ، اننى لم أرك الا منـــذ ساعة واحدة ، ولكن شيئا فى تقاطيع وجهك يجعلنى أطمئن اليك وأثق فيك ·

ان هذه الاوراق المالية يامسيو بارنيت قد طبعت بلوحة (كليشيه) سرقت من بين اللوحات التى يستعملها بنـــك

فرنسا فى طبع الاوراق المالية ذات المائة فرنك ·· والشخص الذى سرقها هو أحد العمال المكلفين بصنع هذه اللوحات ، وقد قرر بنك فرنسا عشرين لوحة من هذا النوع فصنـــع العامل المذكور لوحة زيادة عن المطـلوب ·· وأخفاها علـه يستطيع الافادة منها فى المستقبل ·

ولكنه عاد فاستولى عليه الوهم · وأشفق أن يكتشف أمره ·· فترك عمله ·· ولاذ بالفرار الى نيويورك ·

وقد شاءت المصادفات أن يستأجر هذا الرجل غرفة فى المنزل الذى أقيم به فى حى (بروكلين) ، وقد صادفته مرارا فى طريقى ·· وتعارفنا ولكنه كان هادىء الطباع يميـــل الى العزلة والوحدة ، وتبدو على وجه الحزين علامات الهم والاســـى ··

ثم حدث أن أصيب هذا الرجل بالتهاب رئوى··فرأيت من باب الرحمة والشفقة أعنى به ·· وأن أقـدم اليـــ ما أستطيع من مساعدة··وكنت مدفوعا الى ذلك بعامل الرحمة والانسانية ·· وقد علمت أنه فى ضيق مالى فدفعت ايجار غرفته ·· ودعوت أحد الاطباء لفحصه ·· وقد قرر الطبيب أن الرجل فى حالة يرثى لها بسبب سوء التغذية ·· وظهر عندئذ أن هذا التعس أنفق كل أمواله ثم لم يجد عمـــلا ، فراح يتضور فى الطرقات ، ويقتات ببقـايا الطعـام التى تتخلف من المطـــاعم ··

نعم ·· كان هذا التعس يتضور جوعا ·· وهو يملك اللوحات التى اذا أراد صنع بها ملايين الجنيهات ··

ولكنى لم أكن وقتئذ أعلم بأمر هذه اللوحات ·

ثم اشتد بالرجل وطأة المرض وقرر الطبيب ذاب مساء

أنه لن يعيش حتى الصباح .

وقبل النهاية ببضع ساعات ، أفاق الرجل من ذهوله وغشيته ، واستجمع نشاطه العقلى وعبر لى عن شكره وامتنانه ، ثم قص على قصته وختم كلامه بقوله .

« انك الوحيد الذى اهتم بأمرى فى محنتى . ولست أملك شيئا ثمينا أهديك اياه على سبيل الوفاء غير هذه اللوحات . فخذها ، لعلك تستطيع أن تفيد منها فى أحد الايام » .

وأسلم الرجل الروح فى الصباح ، وطلبت الى صاحبة المنزل أن أعجل بدفنه . لان هناك شخصا آخر يريد استئجار غرفة المتوفى ، فحملت أمتعة الرجل الى غرفتى .. وكانت أمتعة بسيطة تافهة . ولكنى وجدت بينها تلك اللوحات .. وهو المهم .

كنت يومئذ أشتغل سائق سيارة ، وأربح بضعة دورلارات فى الاسبوع ، ولكنى كنت أدخر مبلغا من المال .

شرعت أفكر فى طريقة للافادة من هذه اللوحات الثمينة.

كان يتعين على أن أحصل على الورق اللازم لطبع الأوراق المالية .. على شريطة أن يكون مماثلا للورق الذى يستخدمه بنك فرنسا .

وكان يتعين على كذلك أن أتفق مع طابع ماهر يعرف النواحى الفنية فى طباعة أوراق النقد واستطيع الاطمئنان الى كتمانه وصمته .

كل هذه عقبات ومصاعب كانت تتطلب وقتا . ولكنى تغلبت عليها بالصبر والاناة لان التغلب عليها كان السبيل الاوحد للحصول على الملايين بأسرع ما يمكن .

كان ذلك منذ ستة أعوام، وأنا لا أعرف على وجه التحديد كم تبلغ ثروتى ، ولا ما هو مقدار الاموال المودعة باسمى فى مختلف البنوك . ولكنى أعلم فقط أن ثروتى أكثر بكثير مما أستطيع أنفاقه مدى حياتى .

على أن وفرة المال بين يدى . وذكرى أيام الفقر السوداء التى عانيتها وأنا أشتغل سائق سيارة قد جعلتنى أفكر فى اغاثة الملهوفين . وفى انفاق جانب من الاموال التى تعبت من بعثرتها ذات اليمين وذات اليسار ، على الفقراء والمعوزين

وكنت وأنا فى نيويورك استبدل هذه الاوراق المالية الفرنسية بدولارات أمريكية . فأنشأت طائفة من المؤسسات الخيرية . وأحسنت الى الفقراء والمرضى . وأنقذت من المسغبة مئات من الناس .

وفى أحد الايام . جرى ذهنى الى الرجل الذى كان سببا فى نعمتى . الرجل الذى ترك تلك اللوحات الثمينة .

وتذكرت أن هذا الرجل كان فرنسيا ، وأن جانبا من هذه الاموال ينبغى أن يستخدم فى اغاثة الفقراء من الفرنسيين

وهذا هو السبب فى قدومى الى هذه البلاد .

ولكن هل قلت لك ان هذا الرجل ترك زوجته فى باريس عندما فر الى أمريكا .

اننى قضيت شهرين كاملين فى البحث عن هذه الزوجة التعسة بواسطة مكاتب الاستعلامات . وقد عثرت بها أخيرا . فاذا بها تشتغل خادمة فى أحد المنازل .

وقد كان أول همى بطبيعة الحال أن انتشلها من هاوية الفقر .. فأوهمتها أن أحد أقاربها توفى فى أمريكا . وترك لها مبلغا طائلا من المال كلفنى بتسليمه اليها .

ولا أعلم هل صدقت هذه الحكاية . أم لا ولكن الذى اعلمه أنها رحبت بالمبلغ .

على أننى اذا وجدت آخرين بحاجة الى المعونة . لاأتردد فى مساعدتهم والاخذ بأيديهم ...

وهنا أزدرد بارنيت لعابه بصوت مسموع .

كانت ذلاقة اللسان والبراعة فى الالقاء من أهم مواهب سيمون لوتشيك .. وقد بعثر رزم الاوراق المالية . والقى بيانه الهام بطريقة تسيل اللعاب .

سأل فى لطف :

ـ هل أنت بحاجة الى مقدار من المال ياموسيو بارنيت؟

فسعل بارنيت . وأجاب بلسان متلعثم :

ـ أنا .. أنا لا أستطيع أن أصدق اذنى .

ومد يده ... وتناول بعض الاوراق المالية ... ونظر اليها بجشع ... ثم ردها الى موضعها .

قـال لوتشيك :

ـ لقد أنبأتنى رسالتك بكل ظروفك .. وفهمت منها أن زوجتك مريضة بالسل الرئوى . وأنها بحاجة الى الاستشفاء فى سويسرا . ولابد كذلك أن أولادك بحاجة الى تربية صالحة .. فأنا على استعداد للاخذ بيدك .. وفى استطاعتك أن تبتاع من هذه الاوراق المالية بقدر ماتريد .

ولا أكتمك أننى بحاجة الى استبدال هذه الاوراق المشابهة بأوراق مالية من فئة خمسة فرنكات . أو عشرة فرنكات. أو الف فرنك ..

أضف الى ذلك أن طبع هذه الاوراق يكلفنى بعض النفقات والشخص الذى يقوم بمهمة الطبع يتقاضى عشرة فى

المائة من قيمة الاوراق التى يطبعها .

بيد أننى على استعداد لان أبيعك الورقة المالية ذات المائة فرنك ... بمبلغ عشرين فرنكا فقط ... وبهذه الطريقة تستطيع أن تجعل من نفسك مليونيرا اذا شئت.

فحملق بارنيت فى وجه محدثه . وقال . بلسان متلعثم:

ـ أنت .. أنت تسخر منى ؟

وكان منظره يدعو الى الشفقة . فالقى لوتشك بيده على كتفه بلطف وقال :

ـ كلا .. اننى لا أسخر منك . بل على العكس . ان من دواعى سرورى أن أمد اليك يد المساعدة وأن أمهد لك سبيل الثراء .

اصغ الى ياموسيو بارنيت .. أعلم أن كل هذا كان مفاجأة بالنسبة اليك . وأخشى أن تؤثر هذه المفاجأة فى أعصابك .. والرأى أن تنصرف الآن لتفكر فى الامر مليا وعلى مهل . فاذا طاب لك أن تبتاع كمية من هذه الاوراق المالية . فاحضر معك ثمنها وعد الى غدا فتجدنى فى انتظارك لنتناول طعام الغداء معا .

وتريث لوتشيك لحظة ثم قال :

ـ ويحسن على كل حال أن تتصل بى تليفونيا فى الساعة السابعة من مساء اليوم لتنبئنى بما اعتزمته فى هذا الصدد، لكى انتظرك غدا أو لا أنتظرك .

قال ذلك . وتناول بعض الاوراق المالية ودسها فى جيب بارنيت وهو يقول :

ـ خذ .. خذ هذه الاوراق على سبيل التجربة .. واذهب بها الى أحد البنوك لتتحقق من صحتها .. اذ يخيل

الى أنك مازلت فى شك من الامر .

فارتسمت على وجه بارنيت ابتسامة كالحة . وقال :

ـ ان مثلى الآن . . مثل الرجل الذى يجد حافظة نقود فى سيارة أجرة فيدسها فى جيبه .

فهتف لوتشيك فى رفق :

ـ ولماذا لاتدسها فى جيبك ؟ وعلى من تقع الخسارة فى ذلك ؟ على بنك فرنسا طبعا .

اننى لم اتلق دروسا فى الاقتصاد .. ولكنى واثق من أن بنك فرنسا ملزم بدفع قيمة هذه الاوراق أسوة بالاوراق المماثلة التى يصدرها .

ولكن هل سيسوء مركز البنك لانك استوليت على بضعة آلاف من الفرنكات ؟

كلا بطبيعة الحال .. ان بنك فرنسا لايشعر من ضياع هذه الآلاف الا كما تشعر أنت من ضياع سنتيم واحد .

فكر فى الامر يامسيو بارنيت .. ودعنى أعرف رأيك فى الوقت المناسب .

ـ حسنا . سأفعل ذلك .

ونهض بارنيت واقفا . ونفسه لاتطاوعه على تحويل عينيه عن رزم الاوراق المالية الملقاة هنا وهناك .

قال لوتشيك :

ـ لى كلمة أخيرة .. لست بحاجة طبعا لان أذكرك بوجوب كتمان ماسمعت...نعم .. يجب أن تكتم ماسمعت عن كل انسان .. حتى عن زوجتك .

ولا شك أنك تعلم لماذا أطالبك بالكتمان . اذ لو ذاعت هذه القصة . وتناولتها الالسن . فانها تصل حتما الى آذان

بنك فرنسا . وعندئذ لايتردد البنك فى اصدار طبعة جديدة من الاوراق المالية ذات المئة فرنك والغاء الطبعة القديمة .

فأجاب بارنيت :

ـ كن مطمئنا ياسيدى .

وانصرف بارنيت .. ولم يكن بحاجة طبعا لان يعرض الاوراق المالية على أحد البنوك للتحقق من صحتها .. ذلك لانه كان واثقا من أنها حقيقية .. ولا زيف فيها .

وعاد بارنيت الى مكتبه . وقضى بعض الوقت فى التفكير فى سر هذه الحيلة الامريكية الجديدة !

وفى الساعة السابعة تماما اتصل تليفونيا بلوتشيك وقال له :

ـ لقد فكرت فى الامر ، وقررت أن أبتاع جانبا من (البضاعة) .

فأجاب لوتشيك :

ـ يسرنى أن تقرر ذلك . واذن فسننتظرك غدا فى الساعة الواحدة . وبهذه المناسبة بكم اعتزمت أن تبتاع ... أن تبتاع (البضاعة) ؟

فأجاب بارنيت بلهجة الاعتذار :

ـ من دواعى أسفى أننى لا أملك أكثر من خمسة آلاف فرنك هى كل ما ادخرته للظروف العصيبة .. وهذا المبلغ لا يكفى لابتياع ٢٥ ألفا من الفرنكات . أليس كذلك ؟ ..

فأجاب لوتشيك :

نعم ..

ثم هزته الاريحية والكرم فقال فى رفق :

ـ ورغبة منى فى مساعدتك والاحسان اليك .. سأعطيك ثلاثين ألفا من الفرنكات بدلا من ٢٥ ألفا .

- شكرا لك ياسيدى .

وفى الساعة الواحدة تماما .. كان بارنيت واقفا بباب لوتشيك .. فاستقبله هذا الاخير باسما اوقدم له مقعدا .

قال بارنيت :

- انك فتحت أمامى أبواب الامل ياسيدى ... وقد قدمت اليوم استقالتى من وظيفتى فى شركة التامين . . . وكل رجائى ألا اضطر الى مثل هذه الوظيفة فى مستقبل الايام .. فأجاب لوتشيك :

- حسنا فعلت . ثم استطرد معتذرا أسفا :

- اننى دعوتك لتناول طعام الغداء معى .. بيد أنه من دواعى أسفى أننى مضطر الى تأجيل هذه الدعوة الى موعد آخر .. وذلك أننى تسلمت فى صباح اليوم رسالة من سيدة متقدمة فى السن قرأت الاعلان الذى نشرته فى الصحف .. وقد فهمت من رسالتها أنها فى أشد حالات الضيق ، وان زوجها توفى عنها منذ عشرين عاما . ولما كبر ابنها وترعرع اهتم بالانفاق عليها . ولكن من سوء حظها أن سيارة دهمت ابنها منذ بضعة أيام فقتلته .

وقد حزنت لشقاء هذه السيدة وتعاستها ... وقررت أن سافر الى (روين) حيث توجد السيدة ... للحصول على زيد من المعلومات عنها .. ومساعدتها بقدر ما أستطيع ..

فاغرورقت عينا بارنيت حزنا على هذه الارملة البائسة. حانت منه التفاتة فرأى بعض حقائب لوتشيك وقد حزمت ستعدادا للرحيل .

ووقع بصره فوق مكتب لوتشيك على حزمة كبيرة من زم البنكنوت .

سأل لوتشيك :

- هل احضرت النقود يامسيو بارنيت ؟

فدس بارنيت يده فى جيبه .. واخرج منه حافظة نقود مهلهلة ... تناول منها خمس ورقات من اوراق البنكنوت ذات الالف فرنك .. وضعها على مكتب لوتشيك بأصابع مرتجفة .

ولم يكلف لوتشيك نفسه عناء الاستيلاء على الورقات الخمس .. بل تركها حيث وضعها بارنيت وقال :

- ان جيبك لايتسع لرزمة من اوراق البنكنوت قيمتها ثلاثون الفا من الفرنكات فدعنى أحزم لك هذا المبلغ فى طرد صغير تحمله فى يدك .

فلم يبد بارنيت أى اعتراض . وتناول لوتشيك حزمة كبيرة وازال رباطها وغلافها والقى بها بين يدى بارنيت .. فتناولها هذا . ونظر اليها بعينين نهمتين .. واستوثق من أنها اوراق حقيقية لا ريب فيها .

قال لوتشيك :

- تستطيع أن تحصيها اذا شئت ..

فهز بارنيت رأسه وأجاب :

- لا ضرورة لذلك .. أنا أرى أن قيمتها لا يمكن أن تقل عن ثلاثين الفا .. وبعد ، فاننا نتعامل بروح الثقة المتبادلة .

فأبتسم لوتشيك ومد يده الى بارنيت .. واسترد منه الاوراق المالية ولفها فى ورقة صفراء .. وشرع يحزمها بمهارة تدل على أنه متمرن على هذا العمل ..

كل ذلك وبارنيت يرقبه باهتمام ولا يحول عينيه عن

عن يديه أو عن رزمة الاوراق ·

كان يلاحظ ويرقب ، باهتمام الشخص الذى يريد أن يكشف حيلة أحد المشعوذين · على أن ذلك لم يزعج لوتشيك

كان الرجل مطمئنا الى عمله · فقد قضى أربع ساعات فى صباح ذلك اليوم وهو يستعد لمقابلة بارنيت ، وكان من الاجراءات التى اتخذها استعدادا لهذه المقابلة أنه ثبت النافذة بخيط متين دقيق ، وأوصل طرف هذا الخيط بدرج فى مكتبه، بحيث يستطيع فى كل لحظة أن يجتذب هذا الطرف ، ومتى اجتذبه أغلقت النافذة وأحدث اغلاقها دويا عظيما ··

وفرغ لوتشيك من حزم الاوراق المالية ، وفتح درج مكتبه ، كأنه يبحث عن سكين أو أداة لقطع الخيط الذى حزم به الاوراق المالية ·

قال كأن المهمة قد انتهت :

– ها هى الاوراق يا مسيو بارنيت ·

ومد يده ·· فاجتذب طرف الخيط بلباقة ، فأغلقت النافذة بعنف · وأحدث اغلاقها دويا هائلا ·

ورغم شدة الدوى · فان بارنيت الخبيث لم يحول رأسه الى الوراء ·

ظل ينظر الى حزمة الاوراق كما لو كانت فى تلك الحزمة قوة مغنطيسية تجتذب باصرتيه ·

وقد كان ثبات بارنيت وعدم اكتراثه بصوت اغلاق النافذة هو أعجب ظاهرة صادفها لوتشيك فى حياته العملية ·

نعم تلك كانت ظاهرة شاذة ، خارقة للطبيعة · اذ لم يسبق قط لاحد الزبائن الذين وقعوا فى أحبولته فى أمريكا أو غيرها أنه سمع ذلك الدوى الفجائى المزعج ، ولم يلتفت

وراءه ليرى مصدره ·

وقد كان كل اعتماد لوتشيك فى مشروعه الذهبى على اللحظة التى ينصرف فيها انتباه ضحيته الى النافذة التى أغلقت فجأة ·

كانت تلك اللحظة مهما بلغ قصرها كافية لان يستبدل لوتشيك حزمة الاوراق الحقيقية بحزمة أخرى تشبهها تمام الشبه ، ولا تحتوى على غير رزمة من قصاصات الجرائد · قد وضعت فوقها ورقة أو ورقتان من أوراق البنكنوت ·

وقد جرت العادة أن يلتفت الضحية وراءه فينتهز لوتشيك الفرصة ويستبدل الرزمتين ، ثم يقدم رزمته الزائفة الى الزبون فيأخذها هذا وينصرف شاكرا · ولا يفطن للحيلة الا متى وصل الى بيته وفتح الرزمة · وهو فى هذه الحالة لا يجد الجرأة على ابلاغ البوليس · لان ابلاغ البوليس معناه أنه وافق على الحصول على أوراق مالية زائفة بنية التعامل بها وعرضها للتداول ·

وقد جرت العادة فى ٩٩ فى المئة من الحالات أن يحتمل الضحية الصدمة والخسارة ، دون أن يعرض نفسه لتحقيق البوليس ·

بيد أن هذه الحالة البارعة لم تنجح مع بارنيت لانه لم يحول رأسه ·· ولم تتح للوتشيك فرصة استبدال رزمة الاوراق المالية ، برزمة قصاصات الصحف ·

انقلبت سحنة لوتشيك وسقط فكه الاسفل ، وزاغت عيناه ·

كان شعوره فى تلك اللحظة ، كشعور شخص يتحفز للوثوب الى عربة الترام ·· فاذا به يرى عربة الترام ترتفع

عن الارض وتحلق فوق أسطح المنـازل .

قال وهو يشير بأصبعه نحو النافذة :

ـ الظاهر ان النـافذة سقطت .

وحاول أن يبتسم .. ولكنها كانت ابتسامة كالحـة مسكينـة .

قال بارنيت :

ـ نعم .. انها سقطت .. وقـد سمعتها .

ـ لقد أزعجنى سقوطها .

ـ فأجاب بارنيت بهدوء ، وفى أدب :

ـ ان الاصوات الفجائية تزعج السامعين دائمـا .

وبدأ العرق يتصبب على جبين لوتشيك .

كانت رزمة قصاصات الصحف قيد بضعة سنتيمترات من يده .. فلو حـول بارنيت عينيه لحظـة قصيرة .. لاستبدل بها رزمة الاوراق الحقيقية .

ولكن بارنيت اللعين لم يحول عينيـه .

قال لوتشيك وهو فى حالة تدعو الى الشفقة :

ـ هل أجد معك سكينا .. أو أية أداة حادة لقطع هذا الحبـل ؟ فأجاب بارنيت بأدب :

ـ دعنى أقطعه بيـدى .

وتقدم خطوة الى الامام فهتف لوتشيك :

ـ كلا .. كلا .. لاتزعج نفسك .. سأقطع الخيط بيدى

وكانت عملية قطع الخيط هى آخر سهم فى جعبة لوتشيك فى حالة الفوز .. فلف الخيط حـول أصبعه .. وجذب الحزمة بقوة .. فقطع الخيط .. وسقطت الحزمة على الارض تحت المكتب .

وانحنى لوتشيك لالتقاطها بيده اليمنى .. بينما كانت يده اليسرى ممسكة بالحزمة الزائفة فى جوف الدرج استعدادا لاستبدال هذه بتلك .

بيد أن هذه الحيلة الاخيرة قد فشلت كذلك .. لانه لم يكد يمد يده لالتقاط رزمة الاوراق الحقيقية .. حتى كـان بارنيت أشرع منه اليها .

التقط بارنيت الرزمة .. ووضعها تحت أبطه .. وبسط يده الى لوتشيك وهو يقول : وفى عينيه بريق لم يره لوتشيك فيهما من قبـل :

ـ انك لاتعلم كم أنا شاكر لك يامسيو لوتشيك .. سأذهب الآن حتى لا أعوقك عن الاسراع لنجدة تلك الارملة البائسة .

وشد على يد لوتشيك بحرارة ، وانطلق نحو الباب .

وشعر لوتشيك فى هذه اللحظة كأن جانبا من دمه قـد تجمد فى عروقه .

بقى واقفـا فى مكانه لحظة كأنه سمر فى الارض .. ثم وثب فى اثر بارنيت وهو يصيح :

ـ صبرا .. صبرا .. لى كلمة أخرى .

ولكن بارنيت كان قد أغلق الباب .

وجر لوتشك نفسه جرا الى الباب ، ولكنه ما كاد يفتحه حتى رأى أمامه رجلا نحيفا نحيلا يرتدى معطفا أسود .

قـال الزائر :

طـاب صباحك يا مسيو لوتشيك .. هل أستطيع الدخـول ؟ !

ولم ينتظر حتى يسمح له لوتشيك بالدخول ٠٠ بل قصد لتوه الى غرفة المكتب ووقع بصره على احدى حزم الاوراق المالية ٠٠ فتناولها ٠٠ وأزال غلافها ، فوجد فى سطحها طائفة من أوراق النقد الصحيحة ، وفى باطنها طائفة من قصاصات الصحف ٠

هز رأسه وابتسم ٠٠ وغمغم :

ـ هـذا بديع حقـا ٠

وكان لوتشيك قد ملك نفسه فى هذه اللحظة ، فوثب اليه وهو يصيح :

ـ ما هذا ؟ من أنت بحق الشيطان ؟ !

فأجاب الزائر بهدوء :

ـ أنا بيشو مفتش البوليس ، لقد اتصل بنا بعضهم تليفونيا وأنبأنا بأنك تروج أوراق نقد زائفة ٠٠

فالتقط لوتشيك أنفاسه بصعوبة وقال :

ـ هـذا عجيب يا مسيو بيشو ٠٠ انك لن تجد هنا ورقة مالية واحدة زائفة ٠

وهنا وقع بصر بيشو على الورقات الخمس ذات الالف فرنك التى تركها بارنيت على المنضدة ثمنا لاوراق النقد الحقيقية التى فاز بها ، فتناولها ٠٠ وأمعن النظر فيها ٠٠ وفحصها واحدة بعد واحدة ٠٠ ثم هز رأسه وقال :

ـ آه ٠٠ ها هى أوراق لا شك فى زيفها ٠٠ وهى مزيفة بطريقة لا تدل على شىء من البراعة ٠

هـل لك فى أن ترافقنى الى ادارة البوليس يا مسيو لوتشـيك ؟

الفصـــل الخـــامس

الانتقـــام

فتح باب مكتب بارنيت ، ودخل منه رجل طويل القامة، قوى العضلات ، مفتول الشاربين ٠٠ تدل تقاطيع وجهه على انه ايطالى الجنس ٠

ودخلت فى أثر هذا الرجل فتاة فى مقتبل العمر ، ممتقعة اللون ، تحمل بين ساعديها طفلا حديث الولادة ٠

فنظر بارنيت الى الرجل ، ثم الى الفتاة ، والطفل ٠٠ ومرت فى جسده قشعريرة ٠

تساءل ٠٠ ترى هل رزق بهذا الطفل فى احدى مغامراته الغراميـــة ؟

ولكنه اطمأن وتنفس الصعداء ٠٠ حين أمعن النظر فى وجه الفتاة ٠٠ وتأكد انه يراها لاول مرة ٠

قال الايطالى بلغة فرنسية سقيمة :

ـ هل لى شرف التحدث الى مسيو بارنيت ؟

فأجاب بارنيت : ـ أظن ذلك ٠

فهتف الايطـالى :

ـ اذن فأنت الرجل الذى نبحث عنه ٠٠

وهنا غاص قلب بارنيت بين جنبيه مرة أخرى ٠٠ ونظر الى الفتاة للمرة الثالثة ثم أشعل لفافة تبغ وقال :

ـ تفضل بالجلوس ياسيدى ، وأنت كذلك ياسيدتى٠٠ هل من خدمة أستطيع أن أؤديها لـكما ؟

فسأل الايطـالى :

ـ هل يقوم مكتب بارنيت بالاستعلامات .. وأعمال البوليس السرى ؟ ! فأجاب بارنيت :

ـ ذلك مكتوب بباب المكتب .

فقال الايطالى وهو يقدم نفسه الى محدثه بحركة مسرحية :

ـ أنا أدعى دومنيك نكارو .

فغمغم بارنيت فى لطف : هذا بديع .

وأشار باصبعه الى الفتاة والطفل وسأل :

ـ وهؤلاء أعضاء أسرتك المحترمة ؟

فأجاب نكارو :

ـ هذه مارى ابنتى .. والطفل طفلها .. ولكنه طفل بلا أب .

واغرورقت عينا الرجل بالدموع فجأة . فقال بارنيت :

ـ هذا اهمال بشع من جانب ابنتك . لماذا لاتعرف والد طفلها ! فأجاب نكارو :

ـ انها تعرف والده ... وهو يدعى جوزيف رولفيرى .

.. ألم تسمع بهذا الاسم ؟ .

ـ بل سمعت به .

والواقع . أن بارنيت قرأ فى الصحف تفصيلات قضية التزوير الشهيرة التى لعب رولفيرى أهم دور فيها . ثم استطاع أن ينجو من العقاب .

كانت قضية من أهم قضايا التزوير .. وقد أحدثت فى باريس منذ شهور ضجة هائلة ..

وتتلخص هذه القضية فى أن رولفيرى هذا استطاع مع أربعة من أعوانه أن يزوروا عددا كبيرا من سندات بلدية

كاليه . وقد اكتشف أمرهم بعد أن روجوا السندات المزورة وتخلصوا منها . فقبض البوليس على الشركاء الاربعة . وقدموا الى محكمة الجنايات حيث حكم على كل منهم بالسجن مع الشغل عشرة أعوام .

أما رولفيرى نفسه . الذى كان يعتبر رئيس العصابة . استطاع الفرار فى الوقت المناسب . وفى الوقت الذى كان فيه زملاؤه يصغون الى حكم الجنايات . كان هو يتمتع بحريته فى قصره الفاخر فى سان ريمو بسويسرا .

وهكذا نجا ذلك المجرم من العقاب . لان من أسس القوانين الدولية ألا تسلم احدى الدول واحدا من رعاياها ليحاكم فى دولة أخرى .. وكان رولفيرى يتمتع بالرعوية السويسرية .. ولذلك فانه آمن شر العقاب .

قال بارنيت وهو ينظر نحو الطفل :

ـ وكيف حدث ذلك ؟

فأجاب نكارو :

ـ اننى أملك مطعما صغيرا بالقرب من الشانزلزية . وقد اعتاد رولفيرى أن يتردد على هذا المطعم لانه من عشاق (المكرونة) .

وكانت ابنتى تعمل معى فى المطعم . وهى حسناء كما ترى ياسيدى . فرآها رولفيرى وأعجب بها . وكان كلما فرغ من طعامه ذهب الى حيث تجلس ابنتى لكى يدفع لها ثمن الطعام . ثم كان ينتهز الفرصة ليجاذبها أطراف الحديث .

وفى أحد الايام . طلب اليها أن ترافقه فى نزهة خلوية .

وكان نكارو يتكلم بصوت حزين متهدج . فرأى بارنيت دمعة تسيل على خده هى دمعة الوالد الحزين المشفق على شرف ابنته التعسة .

استطرد نـكارو :

ـ كانت تبدو على الرجل علامات الكرم والنبل والوقار. فلم يداخلني شك في حسن نواياه . ولذلك لم امنع ابنتي من مرافقتـــــه .

وتكررت دعوات رولفيري . فكان يخرج للنزهة مع ماري في أيام الاحـاد .. ويقدم اليهـا الهدايا . وكانت تصرفاته جميعا تدل على انه مولع بها . وسرني في الواقع أن توفق ماري الى زوج ثري مثله .

وفي أحد الايام . لاحظت على ابنتي تضخما . وأدركت أنها توشك أن تـلد ..

واقـول لك الحق يا مسيو بارنيت أن الدنيا اسودت في عيني في ذلك اليـوم .. حتى هممت بالبطش بابنتـي المحبوبـــه . صرخت في وجهها :

ـ « ماذا فعلت ايتها الشقية التعسة » .

فلزمت الصمت أولا . ثم اعترفت لي بكل شيء وهي تبـكي .

اعترفت لي بانه ثلم شرفها . فلطمت خدي لهذه المصيبة.

ومن الانصاف للسنيور نـكارو أن نقول انه لطم خده فعلا وهو يسرد القصة على مسامع بارنيت .

استطرد الرجـل :

ـ لطمت خدي . ورأيت شبح العار والفضيحـة .. فصرخت :

ـ « يجب أن أقتـل هذا الشقي » .

ولـما هدأت ثائرتي .. وفكرت في الامر مليا .. وجدت أن أفضل وسيلة لدرء الفضيحة هي اقتناع رولفيري بالاقتران

بابنتي .. فاذا اقتنع كان بها والا فانني أثار لشرفي بقتله..

ولا اعلم كيف شعر الشقي بما اعتزمته . لانه انقطع فجاة عن التردد على المطعم .. فذهبت اليه في مكتبه فقيل لي أنه ليس موجودا .

ذهبت اليه في منزله . فقال الخدم أنه خرج .

بعثت اليه بآلاف الرسائل . ولكني لم اتلق ردا .

ومرت الايام بسرعة .

وأخيرا كتبت اليه انذره بابلاغ الامر الى البوليس اذا لم يسرع الى مقابلتي لتصفية الحساب ... وتسوية الموقف ... فرد على خطابي بقوله انه سيقابلني باسرع ما يمكن..

ولكنه جبن ولم يحضر لمقابلتي ..

ثم علمت انه سافر الى (سان ريمو) بسويسرا.فكتبت اليه هناك ، ورد علي أنه سيسرع لمقابلتي حال عودتـه الى باريس .

وفي أحد الايام قرأت في الصحف أنه مجرم مزور ، وأن البوليس يبحث عنه .

هكذا اصبحت ماري امراة بلا زوج . وانقطع الامل في عودة رولفيري .

فهز بارنيت رأسه بحزن وقال مشفقا :

ـ هذا محزن ، ولكن ماذا في استطاعتي أن أفعل ؟ أنا طبعا لست على استعداد للتزوج بابنتك ..

فاعتدل نـكارو في مقعده وقال :

ـ عفوا ياسيدي .. انني لا أطالبك بهذا .. ولكنني أحتاج الى معونتك . . بصفتـــك مدير مكتب بـارنيت للاستعلامات وأعمال البوليس السرى الخاصة .. والمهمة التي

أرجو أن تضطلع بها خدمة للانسانية ورحمة بهذه البنيــة التعسة وطفلها هى مهمة تتطلب الكتمان .

انني قد أعدد العدة لهذه ياسيدى .. أعددتها باتقــان عظيم .. بمعونة بعض أصدقائى هنا فى باريس وفى سان ريمــو .. ولم أبخل ولم يبخل على أصدقائى بالمال اللازم لانقاذ مشروعى .

ويتلخص هذا المشروع فى اختطاف رولفيرى ، واحضاره الى باريس فى احدى الطائرات ، وقد ابتعنــا الطــائرة ، ولا ينقصنا الآن سوى الشخص النشيط الكتوم الذى نستطيع أن نعهد اليه بقيادة الطائرة .

وقد قيل لى يا سيدى انك تجيد قيادة الطائرات .

وفجأة .. وبغير انذار .. أرتمى الاب التعس فوق قدمى بارنيت . واستطرد بلهجة التوسل والضراعة :

انني أعفر جبهتى تحت قدميك ياسيدى ، وأرجوى أن تساعدنا حتى لا يكون لابنتى طفل بلا أب .

فشعر بارنيت بالاشفاق على هذا الاب التعس ، ولكنه رفض قبول المهمة قبل أن يعلم المزيد من الاجراءات التى اتخذها نــكارو لاختطاف رولفيرى ..

وعندئذ راح الرجل يوضح له خطته بالتفصيل . فقال انه وبعض أصدقائه قد اتفقوا على الانتقام بأنفسهم من جوزيف رولفيرى ، بما طبع عليه الايطاليون من حب الاخذ بالثأر ، وان واحدا من أولئك الاصدقاء قد التحق بخدمــة رولفيرى فى قصره سان ريمو لــكى يساعد على اختطاف ذلك الشقى .. وان الآخرين دبروا حادث الاختطاف تدبيرا متقنا لم يتركوا فيه شيئا للمصادفات..وان نــكارو نفسه استأجر

قصرا وسط الحقول خارج باريس لكى يسجن فيه رولفيرى.. وأنه عنى باعداد العدة لهبوط الطائرة فى تلك الحقول . كما أنه ابتاع طائرة خاصة لاستخدامها فى نقل رولفيرى من سان ريمو الى ذلك القصر .. ولم يبق الا الحصول علــى الشخص الامين الذى يتولى قيادة الطائرة .

فسأله بارنيت :

ـ هب أن الخطة نجحت .. وأن رولفيرى قد اختطف .. وجىء به الى القصر الخلوى الذى استأجرته خارج باريس.. فمــاذا فى نيتكم أن تصنعوا بــه ؟

فأجاب نــكارو على الفور :

ـ فى نيتنا أن نرغمه على الاقتران بمــارى .

ـ كيف ترغمونه على ذلك ؟

فابتسم نــكارو وقــال :

كن مطمئنا .. اننا نعرف كيف نرغمه .. وســوف تشهد بعينى رأسك حفلة الزواج .

وقد فكر بارنيت فى الامر مليا .. ووجد أن المشروع لايكلفه كثيرا من الجهد ولكنه يؤدى الى اسعاد مارى التعسة .. والانتقام من رولفيرى .. ذلك المجرم الذى يبحث عنــه رجــال البوليس .

وما كاد بارنيت يعبر عن استعداده لقيــادة الطائرة ، وانفاذ الخطة التى وضعها نكارو ، حتى هجم عليه هذا الاخير وتناول يده عنوة .. وراح يقبلها .

وأخرج من جيبه رزمة من الاوراق المالية قدمها الــى بارنيت فرفضها هذا بقوله :

ـ ان مكتب بارنيت يؤدى أعمــاله مجانا لخدمــة الانسانيــة والعــدالة .

وفى اليوم المحدد للعمل قصد بارنيت الى مطار (بورجيه) وتفقد الطائرة واستوثق من أدواتها ٠٠ وبدأ رحلته ٠

وما ان حلقت الطائرة فى الجو حتى أسرع نكارو فأبرق الى أصدقائه فى سان ريمو للاستعداد للعمل فى ذلك المساء ٠

ولم يسع بارنيت الا الاعتراف بأن نكارو وأصدقاءه قد دبروا خطتهم أحسن تدبر لانه لم يكد يصل الى مطار سان ريمو حتى قابله أحد أعوان نكارو وطلب اليه أن يستعد للعودة الى باريس فى الساعة الثامنة مساء ٠

وفى الساعة الثامنة مساء رأى موكبا صغيرا يجتاز المطار ٠٠ وأبصر بالفتاة مارى تدفع أمامها مقعدا كبيرا ذا عجلتين ، وقد جلس فى ذلك المقعد رجل شاحب اللون عرف فيه بارنيت ذلك الشقى المزور جوزيف رولفيرى الذى نشرت جميع الصحف صورته الفوتوغرافية غداة القبض على شركائه فى قضية تزوير سندات بلدية (كاليه) ٠

وقد أدرك بارنيت فى الحال أن الرجل حقن بمادة مخدرة لمنعه من الاستغاثة أو فضح الخطة ٠

وقد أقبل مع مارى ورولفيرى رجل آخر قريب الشبه من نكارو يضع على عينيه عوينات سوداء وقد قدم هذا الرجل نفسه الى السلطات ذات الشأن بأنه الطبيب الخاص للمريض (والمريض هو رولفيرى) وأنه سيرافق المريض فى رحلته الى باريس حيث يجرى له بعض الاخصائيين عملية جراحية مستعجلة ٠

وكان التخلص من السلطات ذات الشأن هو أهم جزء فى الخطة ، ولكن نكارو وأعوانه كانوا قد استعدوا لذلك أحسن استعداد وأعدوا الاوراق وجوازات السفر اللازمة ٠

وحول الساعة التاسعة ٠٠ حلقت الطائرة فى جو سان ريمو ٠٠ واتخذت وجهتها شطر باريس ٠

وكانت الرحلة الجوية موفقة ٠٠ فلم يقع من الحوادث ما يستحق الذكر أكثر من أن رولفيرى عاد الى وعيه ووجد نفسه بين السماء ٠٠ والارض فتعاونت مارى والطبيب الزائف على شد وثاقه وكم فمه ٠

وصلت الطائرة الى ضواحى باريس حول الفجر وهبطت فى الحقل المجاور للقصر الخلوى ٠

وما كادت تهبط حتى خرج نكارو مسرعا ٠٠ وهتف وهو يكاد يرقص طربا :

ـ هل جئتم به ؟

فأجابه بارنيت :

ـ نعم ٠٠ ومن الاوفق أن تسرعوا فى نقله الى القصر قبل أن يشعر أحد بوجود الطائرة ٠

وتعاون بارنيت معهم على نقل الرجل وهو موثق اليدين والقدمين مكموم الفم ٠

ونظر نكارو الى غريمه نظرة حقد وشماتة ٠ ثم تأبط ساعد بارنيت ، وسار به نحو الباب وهو يقول :

ـ اننى عاجز عن شكرى ياسيدى ٠لقد أعددت لك سيارة لتذهب فيها الى باريس اذا شئت ٠

فقطب بارنيت حاجبيه وسأل :

ـ ألا أستطيع شهود حفلة الزواج ؟

فأجاب نكارو :

ـ طبعا ٠ طبعا ٠ ولكنها ستقام فيما بعد ٠ لقد كنت فى حالة من الاسراع نسيت معها بعض الادوات اللازمة وفى مقدمتها قطعة الصابون ٠

فنظر اليه بارنيت فى دهشة وسأل :

– قطعة الصابون ؟ هل تريدون ارغامه على الاستحمام قبل الزواج ؟

فصاح نـكارو وهو يضحك :

– كلا.كلا. انك لاتستطيع أن تفهمنى . قطعة الصابون ليست للاستحمام ، وانما لحمله على الاقتناع والقبول . سوف ترى بعينى رأسك فى الوقت المناسب . نعم سأدعوك فى الوقت المناسب . اما الآن فانك تستطيع أن ترحل اذا شئت ، مزودا بشكرى وامتنانى .

فنظر اليه بارنيت مدهوشا ثم هز كتفيه وقال :

– على رسلك يا صاح . والواقع أن عندى من الاعمال مالا يسمح لى باضاعة وقتى فى مراقبة طريقـة استخدام الصابون فى حمل أحد الناس على الزواج رغم أنفه .

قـال نـكارو :

– سأمر بمكتبك غدا لاسترداد هذه السيارة .

– لا بـأس .

ووثب بارنيت الى السيارة ، وانطلق بها كالسهم .

على أنه لم يكن خالى الذهن من الموضوع .

كان قد سمع فى حياته عن وسائل كثيرة من وسائل التهديد والارغام ، ولكنه لم يسمع قبل تلك الليلة أن قطعة الصابون البرئية يجوز ادماجها ضمن وسائل الارغام والضغط الادبى أو المادى ، اللهم الا أن يكون للسنيور نـكاور وذوبه رأى سىء جدا فى نظافة رولفيرى ، وأن يكون مجرد تهديده بالاغتسال هو فى اعتقادهم أفضل وسيلة لارغامه على الزواج

وفـكر فى أن نية القوم ربما كانت منصرفة الى تلطيخ

رولفيرى بالاوحال .. ثم تنظيفه بالماء والصابون . . أو حمله على أكل قطعة الصابون كما كان يأكل المكرونة فى مطعم نـكارو .

ومهما يكن من أمر فقد أصبحت قطعة الصابون فى لمح البصر مشكلة المشاكل فى نظر بارنيت .

على أن بارنيت لم يكن بالرجل الذى يسمح للفضول بأن ينهش قلبه ، ولذلك فانه انطلق بالسيارة حتى ابتعد بها عن القصر .. ثم أوقفها فى جانب الطريق .. وعاد أدراجه سيرا على قدميه .

ولـما اقترب من القصر .. أرهف السمع .. ثم واصل السير فى حرص وحذر .. ودار حول بناء القصر ، وانتهى أمام نافذة المطبخ .. فعالجها بلباقة ، وتمكن من فتحها ، ثم وثب منها الى الداخل .. وأخذ يشق طريقه مستعينا بمصباح كهربائى معه حتى وصل الى الغرفة التى ترك فيها رولفيرى وأعـداءه .

كان باب الغرفة مغلقا .. فاطل بارنيت من ثقب القفل .. ورأى نـكارو يتحدث الى الرجل الآخر الذى قام بدور الطبيب ، وقد رفع الطبيب الزائف العوينات عن عينيه .. وعندئذ لاحظ بارنيت الشبه العجيب بينه وبين نـكارو .. وأدرك أن الرجلين شقيقان .

أما رولفيرى فكان ملقى على أحد المقاعد وهو لايزال مشدود الوثاق .

وأما مارى فكانت تدخن .. وقد جلست على أحد المقاعد ووضعت ساقا على ساق ، فكشف ثوبها عن جواربها الى ما فوق الركبتين ، وهى جلسة عجيبة لاتتفق بحال مع طبيعة

موقفها كفتاة ساذجة ثلم شرفها .. وتنتظر أن يصلح الرجل الذى اعتدى عليها ما أفسد .

تحدث الشقيقان طويلا باللغة الايطالية .. ثم انثنى نكاور الى رولفيرى وسأله :

ـ والآن .. ماذا اعتزمت ؟

فأجاب رولفيرى بحدة :

ـ مهما فعلتم بى .. فانكم لاتستطيعون ارغامى على أن أدفع سنتيما واحدة

فقال نكاور :

ـ هذا صحيح .. ولكن دعنى أوضح لك موقفك ، وأضع أمام ناظرك المتاعب التى يعرضك لها هذا الرفض .

انك الآن فى باريس ، حيث يريد رجال البوليس أن يضعوا أيديهم عليك بأى ثمن ، لكى تكفر عن جريمة التزوير التى أرسل شركاؤك الى السجن بسببها .

ولعلك تعلم ماذا ينتظرك اذا قبض عليك : عشرة أعوام فى السجن مع الاشغال الشاقة ، أسوة بزملائك على الاقل .

وليس أيسر علينا الآن من أن نتركك هنا مكتوف اليدين والقدمين ، ونرشد البوليس الى مكانك .

ان مئة ألف فرنك ليست مبلغا جسيما . فاشتر حريتك ونجاتك بهذا المبلغ التافه .

فنظر رولفيرى الى أرض الغرفة . وفكر لحظة . ثم قال:

ـ سأعطيك خمسين ألفا فقط

فقال نكارو :

ـ نحن نطالب بمئة ألف فرنك لاتنقص سنتيما وحدا. اما هذا المبلغ واما تسليمك للبولبس . فكر فى الامر مليا .

حكيما ، وادفع المبلغ الذى نطالبك به ، فنطلق سراحك ، ونمهد لك السبيل لمغادرة فرنسا قبل بزوغ الشمس . وليس أسهل علينا من أن نوهم ذلك المغفل بارنيت بانك نزلت على ارادتنا دون أن نضطر الى الالتجاء الى الصابون . وأننا أسرعنا بابرام عقد الزواج قبل أن تغير رأيك . ومن المؤكد أن يوافق على العودة بك الى (سان ريمو) فى الحال، فلا يعود ثمة ما تخشاه .

فقال رولفيرى كأنه يشجع نفسه :

ـ ليس ثمة ما أخشاه الان ... لانكم لاتفيدون شيئا من وراء تسليمى الى البوليس .

فقالت الفتاة بلهجة لاتدع مجالا للشك فى أن المسألة ليست مسألة زواج ولكنها حادث احتيال يراد به سلب الرجل بعض ماله بالتهديد والوعيد :

ـ هذا صحيح .. ان تسليمك الى البوليس لايفيدنا شيئا .. ولكنه يكون افضل جزاء لك نظير ما أضعناه من الوقت والمال .

وقال الطبيب الزائف :

ـ انك جمعت من جريمة التزوير مبالغ طائلة .. فماذا يضيرك لو تنازلت لنا عن جانب تافه من هذا المبالغ ؟

فلعق الرجل شفته وقال :

ـ ولكنى لا أملك فى فرنسا كل هذا المبلغ الذى تطلبون؟

فأجاب نكارو بصوت أجش :

ـ بل أنت تملك أضعاف هذا المبلغ فى البنك السويسرى الفرنسى باسم (بيير فونتان) .. ومعنا تحويل على هذا البنك لا ينقصه سوى امضائك .

التحويل ، وتكتب بخطك خطابا الى البنك لصرف المبلغ لحامله حالا .

أسرع ، ولا تضيع الوقت سدى ، لقد بدأ صبرنا يفرغ

وكان من الطبيعى أن تستمر المساومة بعض الوقت ، ولكنها انتهت الى النتيجة المقررة ، فوقع رولفيرى باسمه على التحويل ، وكتب بخطه رسالة الى البنك .

قال بعد أن فرغ من ذلك :

– والآن .. أطلقو سراحى ودعونى أذهب .

فأجاب نكارو :

– سنطلق سراحك عندما يذهب أخى الى البنك ويعود بالمبلغ فى جيبه .

وقبل ذلك لا يمكن أن نطلق سراحك .

سمع بارنيت هذا الحديث .. وأدرك أن وقت العمل لم يحن بعد ، فعاد أدراجه من حيث أتى .. وانطلق الى المكان الذى ترك فيه السيارة ووثب اليها .. وقصد بها الى مكان بعيد عن الطريق الذى يتوقع أن يمر به شقيق نكارو فى ذهابه الى باريس وعودته منها .

ثم تمدد بارنيت فى السيارة وأغمض عينه .

وحول الساعة التاسعة أبصر بارنيت بسيارة شقيق نكارو وهى تشق طريقها نحو القصر .. فتمهل قليلا ، ثم وثب الى سيارته وأسرع بدوره الى القصر .

وطرق الباب .. وفتحته الفتاة .

وقصد بارنيت توا الى الغرفة التى كان بها رولفيرى .. فرأى الرجل لايزال مشدود الوثاق ، ورأى الشقيين يتحدثان

بصوت خافت وعلى وجههما علامات البشر والسرور .

وقع بصر نكارو على بارنيت ، فجمد فى مكانه لحظة، ثم هتف :

– أهذا أنت أيها الصديق العزيز ؟ انك جئت فى الوقت المناسب . لقد أوشكت أن أذهب اليك لارجوك أن تعود بصهرى العزيز الى (سان ريمو) .

فقال بارنيت كأنه لا يصدق أذنيه :

– صهرك العزيز ؟ لقد جئت وبودى أن أشهد حفلة الزواج .

فابتسم نكارو وقال :

– انه وافق على الزواج بمارى دون أن يضطرنا الى الالتجاء الى قطعة الصابون وقد وقع بامضائه على وثيقة اعترف فيها ببنوة الطفل .. وكنت الآن على وشك ان أحل وثاقه .

فسأل بارنيت :

– اذن فكل شىء الآن على ما يرام .

– نعم أيها الصديق الكريم ، والفضل فى ذلك لك .

فقال بارنيت وهو يبتسم :

– فى هذه الحالة أرجو أن ترفعوا أيديكم .

ورأى الرجلان والفتاة مسدسا مصوبا اليهم .. ولكن نكارو رفض أن يصدق عينيه . فغمغم :

– ما هذه الدعابة ؟

فضحك بارنيت وقال :

– ان المهزلة يجب أن تنتهى بدعابة .

ثم مد يده الى جيب شقيق نكارو وأخرج رزمة من الاوراق المالية دسها فى جيبه وهو يقول :

– انها دعابة قاسية فيما أعتقد .. ولكنها عادلة .. انكم أسرة ذكية موهوبة . وفى استطاعتكم أن تغروا أنفسكم

بأنكم خدعتمونى طيلة الأيام الأخيرة .. وضحكتم منى أولا ، فليس غريبا أن أضحك منكم أخيرا ..

اننى لا أتمالك منه الارتجاف كلما فكرت فى أن الحيلة كادت تجوز على الى النهاية .. لولا حكاية الصابون.

فصاح نـكارو فى حنق :

– صبرا أيها الخنزير حتى أقابلك مرة أخرى .

فأجـــاب بارنيت :

– اننى فى انتظارك أيها الأخ العزيز .

واخذ يتراجع الى الوراء والمسدس لا يزال فى يده ..

وقد رأىرولفيرى وسمع وهو مدهوش مشدوه .. ولكنه أدرك حقيقة الموقف فى آخر لحظة .. فصاح ببارنيت :

– صبرا .. صبرا .. كيف أعود الى سان ريمو ؟

– علم ذلك عند الله والسنيور نكارو .. فمن المحتمل أن يساعدك السنيور على الفرار اذا نقدته مبلغا آخر من المال . والواقع أن مئة الف فرنك مبلغ تافه بالقياس الى عشرة أعوام أشغال شاقة .

ثم التفت الى نكارو واستطرد :

– ونصيحتى لك الا تنسى قطعة الصابون فى المرة المقبلة أيها الصديق .

وأغلق البـــاب ..

الفصـــل الســادس

قبلة تساوى نصف مليون فرنك

كانت حفلة ساهرة من أعجب الحفلات .. وليس فقط

لانها جمعت بين بارنيت وبيشو وسط طبقة من أرقى طبقات الهيئة الاجتماعية فى باريس .. وانما كذلك لان أرسين لوبين وعد بالاشتراك فيهــا .

وكانت صاحبة هذه الحفلة هى السيدة تيلار .. التى اشتهرت بأنها تملك أربع سيارات (رولزرويس) وماسة يقدر ثمنها بنصف مليون فرنك تتدلى من عقد فوق صدرها، وثروة واسعة ورثها عن زوجها الذى كان بقالا حقيرا .. ثم جازف برأس ماله فى المضاربات وارتفع فى سنوات قلائل الى ضعف رجال المال الذين يشار اليهم بالبنـان .

وقد وضعت السيدة تيلار نصب عينيها بعد وفـــاة المرحوم زوجها أن تستمتع بحياتها وشبابها كما يحق لهـا أن تتبوأ فى الهيئة الاجتماعية المكانة التى تؤهلها لهـــا ثروتها الواسعة ، فكان حب الظهور هو غايتها ، والمال هـو وسيلتها .

وقد استطاعت بفضل ذلك كله أن تدس بنفســها فى أوساط لم تكن تحلم بها قبل أن يتحول زوجها من بقال الى رجل من رجال المال والاعمال .

وعنـــدما ابتاعت السيدة تيـــلار تلك الماسة المشهورة باسم ماسة (كريزر) أعلنت الصحف هذا النبأ بحروف بارزة .. وقد قررت السيدة أن تتزين بالماسة الشهيرة لاول مرة فى تلك الحفلة الساهرة ، التى أقامتها فى قصرها ، ودعت اليها جميع أصدقائها وصديقاتها .

كان بارنيت يسير فى صالة القصر الكبرى متأبطا ساعد صديقه المركيز دومعريا ، سفير ايطاليا فى باريس الذى عرفه عقب حادث سرقة ملايين بنك ايطاليا ، حين التقت عيناه فجأة بعينى بيشو .

وجمد مفتش البوليس فى مكانه كأنه رأى شبحا ، ولكن بارنيت لم يعبأ به ، بل واصل السير وهو يبتسم .

وبعد بضع دقائق ، حانت من بارنيت التفاتة ، فرأى بيشو يتعقبه ، وينظر اليه كما تنظر القطة الى الفأر قبل أن تثب عليه .

والتقى المركيز دومبريا بسيدة يعرفها ، فحياها ، وأخذ يتحدث اليهـــا .

وهنا شعر بارنيت بيد توضع على كتفه فنظر خلفه ، ورأى بيشو ينظر اليه شزرا قال بارنيت متصنعا الدهشة :

– أهذا أنت وماذا جاء بك أنت الى هنا ؟

فأجـــاب بيشـــو :

– وماذا جاء بك أنت الى هنا ؟

– يا اللـــه . ما أعجب أطوارك يا عزيزى بيشو . أتجد من الغرابة أن أرافق صديقى المركيز دومبريا سفير ايطاليا فى باريس الى احدى الحفلات الساهرة ؟

فنظر بيشو حوله . ثم اقترب من بارنيت . وقال له فى صوت خافت :

– أصغ الى . اننى مكلف رسميا بحراسة مدام تيلار والمحافظة على ماسة كريزر فاذا خطر لك ..

فقاطعه بارنيت :

– دعنى أهنئك على هذه الثقة الغالية يا عزيزى بيشو . وكن على يقين من أننى لن أتردد فى مساعدتك فى هذه المهمة الخطيرة اذا شعرت بحاجة الى مساعدتى .

فنظر اليه بيشو شذرا وقـــال :

– أنت قرأت الصحف طبعـا ؟

– نعم . ولكنى لم أصدق كلمة واحدة مما ذكرته هذه الصحف عن رسالة التهديد التى تزعم السيدة أن أرسين لوبين بعث بها اليها مهددا بأن يسرق الماسة فى هذه الحفلة .

– لا تصـــدق ؟؟

– لاتنس يا عزيزى بيشو أن مدام تيـلار امرأة مولعة بحب الظهور والشهرة .

وفى اعتقادى أن حكاية أرسين لوبين واعتزامه سرقـة العقد الليلة ليست الا زعما باطلا ترمى به السيدة الى الشهرة. لانها تعلم أن أولئك الذى يطمعون فى رؤية لوبين أكثر بكثير من أولئك الذين يطمعون فى شهود الماسة .

فقال بيشو مهددا :

– لقد أردت أن أقول لك اننى لن أتردد فى اطلاق الرصاص على أى شخص تحدثه نفسه باختطاف الماسة .

فأجاب بارنيت متحمسا :

– هذا خير ما تفعل ، وفى اعتقادى أن لوبين لو علـم بهذا القرار لفكر متين قبل أن يختطف الماسة ، ولكن ياللـه ، انك فاجأتنى مفاجأة أنستنى أن أهنئك .

– تهنئنى ؟

– نعم .. هأنذا أرى أنك ابتعت رباط رقبة جديدا .

فعض بيشو على شفته ، وهم بارنيت بالابتعاد وهو يبتسم . فقال بيشو :

– حدثنى يا بارنيت ماذا جاء بك الى هذه الحفلة ؟

– كن مطمئنا يا عزيزى بيشو .. اذا كنت تتوهم أن

مدام تيـلار تعتقد أننى أمهر من رجال البوليس فى حراسة ماساتها ، وأنها استدعتنى لاقـوم بهـذه الحراسة فأنت مخطـىء ...

ان زيارتى بريئة ، خالية من أية صبغة بوليسية . وأنا على استعداد لان أقسم لك بأن مدام تيـلار لم تذهب الى مكتب بارنيت وشركائه .

ومضى بارنيت فى سبيله الى حيث كانت مدام تيـلار تتحدث الى فتاة أنيقة رشيقة ..

قالتمدام تيـلار :

ـ أرى أنك وحيد يامسيو بارنيت .. دعنى أعرفـك بصديقتى العزيزة الآنسة روزاموند أرميتاج ، ابنة عم الكونت تيرل . انها تجيد كل أنواع الرقص ، وأعتقد أنه يسرها أن تراقصك متى بدأ الرقص .

فحنى بارنيت قامته باحترام أمام تلك الغادة الهيفاء. وعندما رفع رأسه التقت عيناه بعينى الفتاة . ونظر كل منهما الى الآخر بحـدة .

قالت مدام تيـلار فجـأة :

ـ يخيل الى أنكما تقابلتما قبل الآن ؟

فأجاب بارنيت على الفـور :

ـ نعم .. لقـد تقابلنا .

ثم تحول الى الفتاة واستطرد :

ـ ألم نتقابل فى مطار (بورجيه) يوم كان فى نيتك السفر الى (أوستند) ؟

فأجابت الفتاة بصوت خافت :

ـ أظن ذلك .

وأقبلت فى هـذه اللحظة احدى المدعوات وراحت تتحدث الى مدام تيـلار ..

وعزفت موسـيقى الرقص . فأحـاط بـارنيت خصر روزاموند بساعده قبل أن تسمح له الفتاة بذلك ، واجتذبها الى حلبة الرقص .

قال بارنيت بصوت خافت :

هذه صدفة سعيدة ، ومقابلة غـير منتظرة يا عزيزتى كاترين ، لقد عرفتك بصعوبة ، ومن المؤكد أن بيشـو لن يعرفك ، انك تجيدين التنكر كل الاجادة ، وعندما رأيتك لاول مرة ، كان شعر رأسك أحمر ، وكانت عيناك سوداوين، أما الآن فشعر رأسك أسود ، وعيناك حمراوان .

وضحك . فلم تجب الفتاة ..

قال بارنيت :

ـ لقد أنستنى المفاجأة أن أهنئك .

ـ لمـــاذا ؟

ـ عندما كنا نتنازع عقد (كليمان) فى مطار بورجيه، كان اسمك كاترين الحمراء ، ولكن الظاهر أن الحظ ابتسم لك فجأة ... فأصبحت ابنة عم الكونت تيرل ..

وكانت الفتاة ترقص برشاقة ولباقة ، فدار بها بارنيت حومة الرقص وأخذ يبتعد بها شيئا فشيئا ، ليخرج بها من الميـدان .

سألتـه الفتاة :

ـ وماذا جئت تفعل هنـا ؟

فأجاب وهو يبتسم :

ـ جئت لاشرب شمبانيا مجانا ، وأرقب زوجة البقال

... الى القمة ، وأنت ماذا جئت تفعلين ؟

– جئت لذات الغرض الذى جئت أنت من أجله .

وصمتت لحظة ثم أردفت :

– هلم بنا الى الحديقة ، لنتحدث .

ولاحظ بارنيت أن الفتاة تعرف غرف القصر واروقته وجميع مسالكه .

قال :

– لاشك أنك جئت لزيارة هذا القصر قبل الآن .

فأجابت فى صراحة :

– طبعا .. اننى أحب دائما أن أعرف موضع قدمى .. ومما لاشك فيه أنك كذلك قد جئت لزيارة هذا القصر قبل الآن ..

فأجاب بارنيت :

– بل الامر على العكس ، هذه أولى زياراتى ، وأنا لا أعض التفاحة مرتين قط .

– حتى ولو كانت التفاحة تساوى نصف مليون فرنك؟

– حتى ولوكانت تساوى ضعف هذا المبلغ .

فأخرجت من صدرها علبة تبغ ذهبية ، وقدمت اليه لفافة ، ولكنه ابتسم وهز رأسه .

قال :

– ان لفافات التبغ التى تقدمينها لاصدقائك ليست من أجود الانواع يا عزيزتى كاترين ، دعينى أقدم اليك لفافة من لفافاتى .

فهزت الفتاة كتفيها وقالت :

– أصغ الى ، دعنا نطرح أوراقنا على الطاولة ، ونتكلم

... هذا القصر بقصد الاستيلاء على ماسة (كريزر) .. ولا أكتمك (اننا) جئنا لهذا الغرض أيضا ، وقد ذكرت أن هذه أول مرة تزور فيها هذا القصر ، أما (نحن) فاننا ترددنا عليه مرارا ودبرنا خطتنا أحسن تدبير ، ومن المستحيل عليك أن تسبقنا الى هذه الماسة كما سبقتنا الى عقد (كيلمان) ، فلماذا لاتنسحب بلباقة .. وتتقهقر بانتظام ؟

فنظر اليها بارنيت بامعان .. وظهرت على وجهه علامات التفكير .

وظنت الفتاة أن الفرصة سانحة لاقناعه ، فمست ساعده بلطف ، وقالت بصوت كله اغراء :

– نعم .. لماذا لاتنسحب .. وتوفر على نفسك العناء والمخاطر !

فقال بارنيت :

– أنت تعلمين يا كاترين أنك فتاة فاتنة ، فهل يسوءك أن أطبع قبلة على شفتيك ؟

فقالت الفتاة :

– اذا انسحبت من الميدان .. أعطيك خمسة آلاف فرنك .

فقطب بارنيت حاجبيه وسأل :

– هل عدد زملائك خمسون .. لكى يكون نصيبى من الغنيمة هذا المبلغ التافه ؟

فقالت الفتاة :

– أستطيع أن أعدك بعشرة آلاف .. وأنا واثقة من أن شركائى لايسمحون لك بأكثر من هذا المبلغ .

فأرسل بارنيت من فمه سحابة من الدخان وأجاب :

اننى رجل لا أشترى بالمال ولا أرضى بالانسحاب من ميدان العمل بأى ثمن أيتها العزيزة الصغيرة .

وصمت لحظة ثم سأل :

ـ والآن .. ماذا فى نيتكم أن تفعلوا بى ؟ هل تحطمون جمجمتى كما أردتم أن تفعلوا فى مطار (بورجيه)؟

فلم تجب الفتاة ، بل أمسكت بساعده بقوة .. ونظرت فى عينيه وقالت فى صراحة وبصوت هادىء :

ـ اننى لا أفكر فى الاضرار بك .. ولكن يجب أن تعلم أننى أريد هذه الماسة .. وأريدها باصرار والحاح .. وليس فى وسعك أن تعلم كم أنا بحاجة اليها ..

اننى طيلة حياتى لم أطلب قط معروفا من انسان .. لاننى أعلم أن الرجال الذين يحترفون مهنتنا هذه لايصنعون معروفا لامرأة الا اذا تقاضوا ثمن هذا المعروف .. ولكنى أعلم الشىء الكثير عنك .. وأعلم أنك تختلف عن سائر الرجال .

فغمغم بارنيت :

ـ هذه رواية تمثيلية جديدة يا كاترين . امضى فى حديثك .. اننى فى أشد الشوق الى معرفة الخاتمة .

فسألته فى حرارة واخلاص :

هل تعتقد أننى أريد أن أخدعك ؟ هل تظن أننى أمثل دورا ؟

ـ أنا لا أعتقد شيئا ... ولكنى أريد أن أعرف غرضك من هذا الاستعطاف الحار .

فقالت الفتاة بصوت حزين :

ـ ان من حقك أن تظن بى الظنون .. من حقك أن ترتاب فى .. ولو كنت مكانك مافعلت غير ذلك .. ولكن أصغ الى .. سأتحدث اليك فى صدق وصراحة .. هل تعرف قيمة هذه الماسة بالنسبة الى ؟ اننى أريد الاستيلاء عليها لاطلق هذه الحياة القذرة التى أحياها بين اللصوص والاشقياء والمحتالين . ستكون هذه الماسة آخر صفقة أسعى اليها .. ومن ثم أعيش هادئة وادعة .. عيشة المرأة الفاضلة والزوجة الشريفة ...

ثم أشاحت بوجهها واستطردت بصوت خافت :

ـ ان فى نيتى أن أتزوج .

فنظر اليها بارتياب ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة تهكم وسخرية . وأمسك نفسه فى الوقت المناسب عن أن يسألها عن رأى « أزواجها » العديدين فى مشروعها الجديد

غير أنه فى الواقع لم يكن يعرف الكثير من دقائق حياتها الخاصة .

أراد أن يتكلم ، ولكنه سمع فى هذه اللحظة وقع أقدام قريبة ، فنظر كل منهما الى الآخر ، ثم أرهفا السمع .

كان هناك رجلان يسيران بين أشجار الحديقة ، وقد سمع بارنيت أحدهما يقول :

ـ أعتقد أن هذه الخطة أفضل بكثير من سابقتها .

وهنا بدرت من كاترين حركة كأنها تهم بالابتعاد الى حيث كان الرجلان ، فأحاطها بارنيت بساعده بأسرع من لمح البصر وأرغمها على البقاء ، ووضع يده على فمها ليمنعها من الكلام .

لم يكن ثمة شك فى أن الرجلين كانا من شركائها .

أرهف أذنيه ، وسمع الرجل الثانى يقول :

– نعم ، أعتقد أن هذه الخطة ستوفر علينا كثيرا من المتاعب والمخاطر .

ورأى بارنيت عود ثقاب يضاء ، وادرك أن أحد الرجلين يشعل لفافة تبغ .

قال الرجل الاول :

– ولكن ماذا فى نيتك أن تصنع بالفتاة ؟

فأجاب الثانى :

– لا أعلم . أنها فتاة نشيطة ، رشيقه ، مخلصة .. ولا عيب فيها الا أنها بدأت تنظر الى الزواج نظرة جدية.. وتصر على وجوب الاقتران بى بأسرع ما يمكن ، والرحيل معى بعد ذلك الى لندن .

– وماذا اعتزمت أن تفعل ؟

– اذا وفقنا الليلة .. فأننى أرحل معها الى لندن غدا .. ولا يصعب على أن أتخلص منها هناك .

– اذا فعلت ذلك فأنها تضغن عليك . وقد لاتتردد فى الوشاية بنا .

– لا أعتقد أنها تشى بنا .. وبعد ، فان فى نيتى أن أراوغها وأتملص منها شيئا فشيئا .. حتى اذا هجرتها لم تشعر بوطأة القطيعة .. والذنب ليس ذنبى ، بل ذنبها ، لانها تصر على الزواج اصرار فتاة الدير التى تقع فى أول أحبولة تنصب لها .

– ونصيبها من الصفقة ؟

– سوف أسكتها ببضعة آلاف من الفرنكات .. انها فتاة طيبة القلب كما قلت لك .

وساد بين الرجلين صمت قصير ، ثم قال ثانيهما :

– مهما يكن من أمر فهذه مسألة شخصية تتعلق بك وبها . ان الساعة الآن الحادية عشرة .. يجب أن أسرع الى مقابلة (ريمون) لاتفق معه على موعد اطفأ الانوار الكهربائية .

ومضى الرجلان فى سبيلهما ، ولزم بارنيت الصمت والسكون حتى تلاشى صوت وقع أقدامهما ، ومن ثم ترك الفتاة .

كانت الفتاة شاحبة اللون لاهثة الانفاس ، وقد رأى بارنيت دمعه كبيرة تتدحرج على خدها .. فهم كل شىء ، وأشعل لفافة تبغ .

سألته : – هل سمعت ؟ فأجاب :

– لم يكن هناك مناص من أن أسمع .. اننى آسف لك يا فتاة .. هذان الرجلان من شركائك ، وأحدهما هو الذى كنت تزمعين الاقتران به .

فقالت بصوت متهدج : نعم ..

ثم استطردت :

– مهما يكن من أمر فقد تأكدت أنت الآن من أننى لم أكن أرمى الى خداعك

فقال :

– يجب أن تحمدى الظروف التى مكنتك من الوقوف على نيات الرجل الذى كنت تقفين عليه كل آمالك فى الحياة.

فأجابت بصوت أجش : نعم .

– وهل يهمك الآن أن يسبقنى شركاؤك الى الماسة ؟

فأجابت وهى تصرف بأسنانها غيظا وحنقا :

- كلا .. يجب أن نفسد تدبيرهم
- هلمى بنا اذن .
ووصلا الى صالة الرقص فى الوقت المناسب للاشتراك فى أحد أشواط الرقص .
قال بارنيت وهو يدور بالفتاة بين الراقصين :
- يجب الا نبتعد كثيرا عن مدام تيلار ، ان الانوار الكهربائية ستطفأ فى أية لحظة .. أين الرجلان اللذان سمعناهما يتحدثان فى الحديقة ؟ أليسا هما ذلك الشاب الاسمر الانيق الذى يتحدث الى مدام تيلار ، والرجل الاشيب الواقف بالقرب منهما ؟
ولم يكد بارنيت ينطق بالكلمة الاخيرة حتى انطفأت جميع الانوار الكهربائية فجأة .. فساد صمت مطلق استمر لحظة قصيرة . ثم ارتفعت ضوضاء الكلام والضحك .
وفجأة ، دوى صوت مدام تيلار وهى تصرخ :
- النجدة .. النجدة ..
فساد الصمت مرة أخرى ، وعادت مدام تيلار الى الصراخ :
- عقدى .. عقدى .. أضيئوا الانوار .
وسمع المدعوون ثقاب ، ثم عود آخر ، فثالث ، فرابع .
ثم أضيئت الانوار الكهربائية فجأة كما أطفئت ، واتجهت جميع الانظار فى الحال الى حيث كانت مدام تيلار ، ورأى القوم أمامهم منظرا عجيبا ..
رأوا شابا أنيقا ملقى على الارض وبالقرب منه رجل آخر أشيب .
ورأوا بارنيت واقفا ويده فوق فكه كمن تلقى لكمة

شديدة .
وكان عقد مدام تيلار ملقى على الارض بين هؤلاء الرجال الثلاثة .. فانحنت صاحبة الدار والتقطت العقد بسرعة ، ولكنها ما لبثت أن صرخت :
- ماستى .. ماستى .. لقد سرقوا ماستى ..
وهنا شوهد بيشو وهو يشق طريقه بين المدعوين ، الى أن وصل الى حيث كان بارنيت .. فألقى بيده على كتفه وصاح :
- ما هذا .. ماذا حدث ؟
فأشار بارنيت الى الشاب الملقى على الارض .. وأجاب :
- هو ذا الرجل الذى يجب أن تلقى القبض عليه .. فان الانوار ما كادت تطفأ حتى ....
فقاطعه الرجل الاشيب . بأن صاح ؟
- أنت كاذب ..
ثم تحول الى بيشو وقال :
- لقد كنت واقفا بالقرب من مدام تيلار عندما أطفئت الانوار فهجم عليها هذا الرجل (وأشار الى بارنيت) وانتزع عقدها .. وحاول صديقى هذا (وأشار الى الشاب الملقى على الارض) أن يمنعه ..
فصاحت مدام تيلار وهى تهز بيشو بعنف :
- أين كنت يا مسيو بيشو .. لماذا لم تقم بمهمة المراقبة .. آه .. يا الهى .. لن أرى ماستى بعد الآن .
فأجاب بيشو :
- ان أسفى شديد يا سيدتى .. لقد غادرت القاعة لاتناول قدحا من الماء ... ولكن كونى مطمئنة ، فالسارق

بين أيدينـــا .

قال ذلك ووضع يده على كتف بارنيت وقال له :

ـ اسمح لى بأن أفتشك ..

فنظر اليه بارنيت شزرا وقال :

ـ اذا تركت هذين الرجلين يا مسيو بيشــو ، فانك تتورط فى خطأ سوف تندم عليه .. لقد كنت فى الحديقة منذ بضع دقائق وسمعت هذين الرجلين يتحدثان عن اطفاء النور.

فقهقه الرجل الاشيب وقال :

ـ هذه وقحة لم أسمع بمثلها فى حياتى..فتشه يامسيو بيشو .. أنا واثق أن الماسة معه . وأنه يريــد فقط أن يصرف الاذهان ويحول الانظار عنــه .

وهنا تقدمت كاترين من بين المدعوين ، وقالت بصوت هادىء ثابت :

ـ كلا .. ان مسيو بارنيت لم يذكر غير الحقيقة .. لقد كنت معه فى الحديقة وسمعنا هذين الرجلين يتحدثان عن اطفاء النور ..

فقال الرجل الاشيب بصوت يرتجف قليلا :

ـ هذه الفتاة تهذى ، فانا لم أذهب قط الى الحديقة .

وكان الشاب الاسمر قد أفاق من غشيته ، وسمع طرفا من الحديث فنهض واقفا وقال :

ـ هذا صحيح ، ان أحدا منا لم يذهب الى الحديقـــة هذا المساء .

ووقف بيشو حائرا لا يدرى ماذا يجب أن يفعل .

قال أخيرا موجها كلامه الى مدام تيـــلار :

ـ ها أنت ترين يا سيدتى أن هـؤلاء السادة يتهمون

بعضهم البعض فهل ترتابين فى أحدهم بصفة خاصة ؟

فرفعت مدام تيلار رأسها بكبرياء وأجابت :

ـ اننــى لا أستطيع أن أتهم ضيــوفى بأنهم لصوص يا سيدى ، كان يجب عليك أن تقوم بواجبك .. أنت تعرف من ذا الذى هددنا بسرقة الماسة .

ففــكر بيشو مليا ، ثم قال :

ان الحل الوحيد لهذه المشكلة هو أن يسمح لى هؤلاء السادة بتفتيشهم .

فابتسم بارنيت وأجاب :

ـ هذا رأى صواب .

وتبادل الرجلان الآخران نظرة حائرة . ولكنهما لزما الصمت . قال بيشـــو :

ـ أرجو مرافقتى الى غرفة أخرى .

فدار بارنيت على عقبيه ، وتأهب للسير فى أثر بيشو .

وعندئذ التقت عيناه بعينى كاترين . فاقترب منها وقال:

ـ انك فتــاة باسلة .

وقد لاحظت كاترين أن صوته متغير .

ولم يحفل بارنيت بالانظار المتجهة اليه ووضع يــده على كتف الفتاة وقبل شفتيها قبلة فاضحة ، خدشت شعور الطبقة الاستقراطية التى تسعى مدام تيــلار للانتساب اليها

كان بارنيت جالسا فى مكتبه فى اليوم التالى حين دخل عليه بيشــــو .

وكان مفتش البوليس مقطب الجبين تبدو على وجهــه علامات التعب والتفكير . فاستقبله بارنيت بابتسامته الساخرة المألوفة .. وقال له مؤنبا :

- دعنى اعتب عليك ياصديقى بيشو أنك تسرعت فى اتهامى بلا مبرر .. وثق أنه لولا الصداقة التى تجمع بيننا لما ترددت فى مطالبتك بتعويض عما لحقنى من اهانة بسبب تصرفاتك التى تتنافى مع المنطق .

فسأله بيشو فى هدوء :

- أين الماسة ؟ !

فانفجر بارنيت ضاحكا وأجاب :

- انك ألقيت على هذا السؤال أمس .. ألم ينذرك لوبين بعزمه على سرقتها ؟ !

فتهالك بيشو على أحد المقاعد وقال :

- أصغ الى يابارنيت .. ان كل شىء قد انتهى الآن .. فأين الماسة ؟

انها اختفت امامنا .. وأنا واثق أنك تعرف كيف اختفت ألم تفتش ثيابى .

- عندما كنا فى القاعة الكبرى كان صوتك عجيبا متغيرا . وأنا واثق أن الماسة كانت فى فمك وقتئذ .

- ولكنك طلبت الى أن أفتح فمى .. فنزلت على ارادتك .. ولم تجد فى فمى شيئا :

فهز بيشو رأسه فى حيرة . وأجاب :

- هذا صحيح .. ولكنها كانت فى فمك قبل ذلك .. آه .. يا الهى .. كيف فاتنى أن ...

وضرب جبهته بيده .. فهتف بارنيت :

- ماذا فاتك ؟ !

فنظر اليه بيشو بغيظ وحنق .. وأجاب :

- فاتنى أن أفتش فم الفتاة بعد أن قبلتها .

فضحك بارنيت حتى استلقى على قفاه .

٧ - الاخـوان

فى التاريخ ، بل فى حوادث كل يوم ، امثلة عدة من الكراهية التى قد تقوم بين الاخوين الشقيقين مقام المحبة والوفاق . بيد أن القصة التى سمعها بارنيت عن الشقيقين فرنون وجول كينسال كانت فريدة فى نوعها وطرافتها .

قال له مسيو بنويك مسجل العقود :

- انك لن تجد أخوين يبغض كل منهما الآخر كما يبغض جول أخاه فرنون وبالعكس .. وهذا البغض بين الاخوين لم يكن نتيجة حادث معين . هو بغض غريزى تغلغل فى صدريهما منذ الصغر .

كان جول فى الرابعة من عمره عندما لاحظ أن شقيقه فرنون - وكان وقتئذ فى الشهر الثانى من عمره - يستأثر بمحبة والديه .. فضربه ذات يوم بلعبة فى يده ضربة شقت شفته .

ولما كان فرنون فى السابعة من عمره لاحظ أنه اذا ظل مستيقظا حتى ينام شقيقه جول - وهو وقتئذ فى الحادية عشرة من عمره - فانه يستطيع أن يسطو على جيبه وهو آمن مطمئن ، ويجرده مما يحتفظ به من حلوى ونقود ولعب .

ولما بلغ جول العشرين من عمره وجد أنه يستطيع أن يقلد خط فرنون - وكان وقتئذ فى السادسة عشرة من عمره - تقليدا تاما مكنه فى أحد الايام من أن يسحب من المبالغ التى أودعها فرنون فى صندوق التوفير مبلغا جسيما حار فرنون فى ادراك سر اختفائه ..

وعندما بلغ فرنون السابعة والعشرين من عمره ... دعا

أخاه جـول لقضاء عطلته الاسبوعية فى منزله ... فلبى جـول الدعوة ... وتسـلل تحت جنح الظـلام الى مكتب شقيقه .. وعبث بأوراقه .. واكتشف سر صفقة رابحة كان فرنون يتأهب لابرامها فسبقه اليها ..

ولمـا بلغ جـول الخامسة والثلاثين من عمره دعا أخـاه فرنون لتناول طعام الغداء عنده . فلبى فرنون الدعوة . ولكنه انتهز الفرصة وأغرى سكتير شقيقه بالمال حتى علـم منـه حكاية منجم للفحم فى جنوب أفريقيا كان جـول يتفـاوض للحصول على امتياز استغلاله . فأسرع فرنون وحصل عـلى هـذا الامتيـــاز .

قال مسيو بنويك مسجل العقود :

– وهكذا ظلت العداوة سجالا بين الاخوين الشقيقين حتى حار أبوهما فى أمرهما ، وأبوهما هو مسيو هنرى كينسال الذى جمع ثروة طائلة من المضاربات فى البورصة .. وقـد اتصل بى أخيرا أنه يعيش فى أسبانيا .

وقد كنت مسجلا لعقود هذا الرجل قبل أن يشطب اسمى من جدول المسجلين . ولا تزال عندى وصيته الاخيرة . . . ولست أحدثك عن المتاعب التى عانيتها مع هذا الرجل ..

ذلك أنه كتب وصيته أولا .. وأوصى بأن توزع ثروته على ولديه بالتساوى .

ثم عاد فمزق هذه الوصية .. وكتب وصية أخرى ترك بمقتضاها كل أمواله لولده فرنون ..

ومزق هذه الوصية أيضا ، وترك كل ثروته لوله جول .

ثم مزق هذه الوصية الثالثة ، وكتب غيرها ..

والواقع أن الرجل ظل حائرا لايدري اى الشقيقين اسوأ من الآخـــر .

وأذكر فيما أذكر أن ....

ومضى مسيو بنويك فى سرد ذكرياته ..

ومسيو بنويك اذا بدأ الكلام وهو ثمل ... ملك ناصية الموقف .. وجعل من المستحيل على السامع الا أن له لسانا . .. وأن له صوتا .. فهو عليه أن يسمع وكفى ..

كان الاسراف فى تناول الخمر نقطة سوداء فى حياة مسيو بنـــويك ..

وكانت الخمر هى عـلة المصائب والويلات التـى حلت به . فبسببها فقد عملاءه جميعا . وبسببها شطب اسمه من جدول مسجلى العقود .

ومتى شطب اسم المسجل من جدول مسجلى العقود ... وكان سكيرا عربيدا ... أصبح مخلوقا خطرا . . . لانه لايقوى عندئذ على كتمان الاسرار التى ائتمنه عليها عملاؤه.

وهى حقيقة أدركها بارنيت .. الذى تعلم بالتجربة أن التغلغل فى أسرار الناس والتوسع فى معرفة الحقائق والمعلومات يفيد ولا يضر .

أصغى بارنيت الى حديث مسيو بنويك ، أو تناسى ماسمع عن الاخوين فرنون وجـول كينسال ...

وفى أحد الايام قرأ بارنيت فى الصحف أن مسيو هنرى كينسال المليونير المعروف توفى فى مدريد بالسكتة القلبية .

وبعد يومين ، قرأ فى نبأ آخر أن ثروة مسيو كينسال تقدر بسبعة ملايين من الفرنكات،وأن هذه الثروة ستوزع بالتساوى بين ولديه وفقا لوصية كتبها المتوفى سنة ١٩٢٧ واودعها عند

مسجل للعقود يدعى جاك موران .

ووجد بارنيت أن لا سبيل للاستفادة من معلوماته عن الشقيقين جول وفرنون . . فطوى الجريدة ، ورفع كأس النبيذ الى فمه .

وعندئذ رأى مسيو بنويك مقبلا عليه وهو يترنح .

هتف به :

- آلو ، بنويك ، فى أية جنازة كنت ؟

فأجاب بنويك بلسان متلعثم :

- أبشر يا ولدى العزيز . انهم سيعيدون اسمى الى قائمة المسجلين . فهنئنى ..

فابتسم بارنيت وقال :

- هذا بديع ، من أين علمت هذا النبأ السار ؟

فأجاب بنويك :

- يجب أن يعيدوا اسمى الى قائمة المسجلين العاملين ، لاننى المسجل الوحيد الذى عنده آخر وصية كتبها هنرى كينسال ، هل قرأت صحف المساء ؟ لقد ذكرت هذه الصحف أن ملايين كينسال ستوزع مناصفة بين ولديه وفقا لوصية أودعها عند أحد مسجلى العقود فى سنة ١٩٢٧ .. وهذا كلام فارغ . فهذه الوصية قد ألغتها وصية أخرى أودعها عندى كينسال فى ١٩٣٢ . لابد اذن أن يعيدوا اسمى الى قائمة المسجلين . انهم لا يستطيعون اغفال مسجل مثلى يودع أصحاب الملايين وصاياهم عنده .

فقطب بارنيت حاجبيه . وأجال الطرف حوله فى جوانب الحانة . ولكن من حسن الحظ أن الحانة كانت خالية من الناس .

قال بصوت خافت :

- ماذا كنت تقول ؟ !

فأجاب بنويك بصوت لا يكاد يفهم :

- كنت أقول ان الوصية التى عندى هى آخر وصايا كينسال . وهى تلغى وصاياه السابقة . وما كدت أقرأ النبأ الذى نشرته الصحف حتى بحثت عن الوصية ووجدتها . وكان فى نيتى أن أذهب بها الى أولى الشأن . ولكنى آثرت أن أروى ظمأى أولا .

هل لك فى كأس على حسابى ؟ !

وقلب جيوبه باحثا عن نقود ، ولكنه لم يجد غير بضعة سنتيمات .

هتف بصوت حزين :

- لقد ذهبت نقودى ، ذهبت نقودى جميعا ، وأقرضنى مئة فرنك يا رجل لكى أدفع الحساب .

فقدم اليه بارنيت كأسا ، وانتظر حتى ازدردها ثم قال له ببطء :

- هل معك هذه الوصية الآن يا مسيو بنويك ؟

- طبعا ، لقد قلت لك انه كان فى نيتى أن أذهب بها الى أولى الشأن .

- أصغ الى يا مسيو بنويك . هل تبيعنى هذه الوصية ؟!

ففتح بنويك عينيه بصعوبة وغمغم :

- أبيعك الوصية ؟؟ هذا مستحيل . هذا مخالف لشرف المهنة ، ان الوصايا لاتباع . أقرضنى مئة فرنك .

- ماذا تفعل لو حصلت على مئة ألف فرنك يا مسيو بنويك ؟

فازدرد بنويك لعابه .. وقال وعيناه تلمعان :

– ماذا أفعل ؟ أبتاع بها نبيذا .. أبتاع بها مئات من براميل النبيذ .. وأغتسل كل يوم بالنبيذ .

– سأعطيك مئة ألف فرنك ثمنا لهذه الوصية يامسيو بنويك .. وأعطيك هذا المبلغ نقدا .. وفورا .. وأعدك بالا أفعل بالوصية ما يتعارض مع شرف المهنة .. فلا أمزقها.. ولا أحدث فيها تغييرا أو تبديلا .. انني لا أريد الاستيلاء عليها .. بل اريد فقط أن تعيرني اياها يوما أو يومين .

فى صباح اليوم التالى .. قصدت كاترين (الحمراء) الى مكتب فرنون كينسال وطلبت مقابلته .

وأوشك فرنون أن يرفض مقابلة فتاة لايعرفها .. ولكنه تريث قليلا وسأل سكرتيره :

– ما شكل هذه الفتاة ؟ ألم ترها قبل الآن ؟

– كلا .. بيد انها على جانب عظيم من الجمال والرشاقة

– اذن دعها تدخل .

ودخلت كاترين وهى تتهادى فى مشيتها .. وحيت فرنون بابتسامة ساحرة ..

قال الرجل وهو يصافحها باحترام :

– اهلا بك وسهلا يا آنسة .. أظن أننا لم .. ..

فقاطعته ببرود :

– .. اننا لم نتقابل قبل الآن .. انني سكرتيرة أخيك جول كينسال .. او على الاصح .. انني كنت سكرتيرته .

فقطب فرنون حاجبيه وسأل :

– هل هو الذى بعث بك الى ؟

فضحكت كاترين ساخرة وقالت :

– هل هو الذى بعث بى اليك ؟ انه قد يفكر فى قتلى اذا علم أننى جئت لمقابلتك فسأل فرنون فى حذر :

– لماذا ؟

فجلست على مكتبه جلسة خليعة .. وتناولت لفافة تبغ من علبة كانت على المكتب ، وأجابت وهى تحرك قدمها الصغيرة :

– أصغ الى .. اننى جئت من تلقاء نفسى .. للحصول على أعظم فائدة أستطيع الفوز بها .

ان أخاك طردنى من خدمته لهفوة بسيطة .. فيسرنى اذن أن أرى شخصا يقهره ويكبته ويلحق به الاذى .

وأنا أعلم مما سمعته منه مرارا أن العلاقة بينكما ليست على ما يرام . وأن الكراهية بينكما متبادلة .. وفى اعتقادى أننى أستطيع أن أضع بين يديك سلاحا تطعن به أخاك طعنة نجلاء .. ولكن بشرط أن تدفع لى الثمن .

فقطب فرنون حاجبيه ، وأخذ ينقر بأصبعه على المكتب.

انه اهتم بالفتاة أولا .. لانها من نوع الفتيات الخليعات اللاتى يميل الى عشرتهن ، ولكن اهتمامه بها تضاعف عندما علم أنها تملك سلاحا يستطيع أن يطعن به أخاه طعنة نجلاء.

قال :

– يسوءنى أنك أضعت وظيفتك أيتها الفتاة العزيزة ، ولكن ما هى الغلطة البسيطة التى وقعت فيها وأدت الى ضياع وظيفتك ؟ .

فأجابت كاترين :

– هذه الغلطة لا تتعدى أننى فتحت احدى رسائل مسيو جول .

اننى أفض جميع رسائله بصفتى سكرتيرته ، بيد ان هذه الرسالة بالذات كان مكتوبا عليها أنها (خاصة وسرية) . ولم أفض هذه الرسالة عمدا .. ولكن تصادف أننى ذهبت الى عملى متأخرة فأخذت فى فض الرسائل بسرعة ، وكان من بينها هذه الرسالة ، ولم ألاحظ كلمتى (خاصة وسرية) .

ودخل مسيو جول فوجدنى أقرأ تلك الرسالة ، فغضب وسب وشتم ، وطردنى فى الحال .

حدث ذلك أمس فقط وكنت ...

فقاطعها فرنون :

ـ وماذا قرأت فى تلك الرسالة ؟

فأجابت :

ـ كانت الرسالة تدور حول وصية أبيك .

وهنا اعتدل فرنون فى مقعده ، واستطردت الفتاة :

ـ وقد وردت اليه هذه الرسالة من رجل سبق أن جاء لقابلته فى المكتب مرة أو مرتين .

وقد أصغيت خلسة الى الحديث الذى دار بينهما . من هذا الحديث أن الوصية التى تكلمت عنها الصحف أخيرا ليست آخر وصية كتبها أبوك ، وأن الوصية الاخيرة التى تلغى الوصايا السابقة كانت فى حيازة ذلك الرجل ، وهو مسجل عقود . وفهمت من الحديث كذلك أن أخاك جول يحاول ابتياع هذه الوصية من المسجل بأى ثمن .

وكانت الرسالة التى فضضتها عفوا وطردت بسببها واردة من هذا المسجل .وفيها يقول لاخيك انه على استعداد لقبول نصف مليون فرنك ثمنا للوصية التى فى حيازته .

سمع فرنون هذا الكلام وبقى جامدا فى مكانه لحظة .

لاشك اذن أن آخر وصية كتبها أبوه كانت فى مصلحته هو دون أخيه ، ولولا ذلك ما فكر جول فى أن يدفع هذا المبلغ الباهظ ثمنا لها ، لكى يخفيها أو يبيدها .

لزم الرجل الصمت لحظة . ثم انفجر صارخا .

ـ ويل للخنزير القذر .   وفكر مرة أخرى .

ان جول لايمكن أن يدفع مثل هذا المبنغ الباهظ ثمنا للوصية الا اذا كانت نصوص الوصية تحرمه من مبلغ أعظم من هذا بكثير .

سأل بصوت أجش :

ـ وما هو اسم مسجل العقود ؟

فابتسمت كاترين وأجابت :

ـ كنت أعلم أنك ستلقى على هذا السؤال . اننى أعرف اسم هذا المسجل ، وعنوانه . ولكن هذه المعلومات لها ثمن .

فنظر فرنون الى ساعته . ثم سأل :

ـ كم تريدين ثمنا لهذه المعلومات ؟ اذا طلبت مبلغا معقولا فاننى أدفعه .

فأرسلت كاترين من فمها سحابة من الدخان .. ونظرت الى فرنون طويلا .. ثم قالت :

ـ أريد دعشرة آلاف فرنك ؟

فنظر اليها منزعجا . وفكر قليلا . ثم وضع يده فى جيبه وأخرج عشرة أوراق مالية ، ناولها للفتاة . ففحصتها ووضعتها فى حقيبتها .

ثم تناولت ورقة وقلما ، وكتبت اسم مسجل العقود وعنوانه .

وقرأ فرنون الاسم والعنوان . ودس الورقة فى جيبه . واختطف قبعته . وهتف وهو يهرول نحو الباب :
ـ عفوا ، أرجو المعذرة ، يجب أن أتخذ بعض الاجراءات ، قابلينى فى فرصة أخرى ، اذا شئت .. الى اللقاء .
ووثب فى سيارته . وأمر السائق بالانطلاق الى العنوان الذى كتبته الفتاة .

وقد كان يخيل اليه أن السيارة رغم اسراعها تسير ببطء السلحفاة . فراح ينتقل من أحد جوانب المقعد الى الجانب الآخر . ويضرب يده اليسرى بقبضة يده اليمنى وأعصابه تكاد تتمزق لفرط الانفعال .
وصل أخيرا الى مكتب مسجل العقود . وقرع الجرس بشدة .

وانقضت دقيقة ولم يفتح الباب . فقرع الجرس مرة أخرى . وأخيرا فتح الباب رجل طويل القامة ، يضع على عينيه عوينات سوداء .
سأله فرنون :
ـ أين مسيو بنويك ؟
فأجاب الرجل :
ـ تفضل بالدخول يا سيدى .

وذهب به الى غرفة صغيرة فى أحد أركانها مكتب بسيط فأجال فرنون البصر فى جوانب الغرفة ثم سأل مرة أخرى :
ـ أين مسيو بنويك ؟
فأجاب الرجل :
ـ هأنذا .

فانفجر فرنون صائحا :
ـ أين الوصية أيها اللص ؟
فرفع بنويك حاجبيه فى دهشة وقال فى أدب : أظن أنه لم يسبق لى شرف التعرف الى ...
فصاح فرنون : أنا أدعى فرنون كينسال ، وقد جئت الآن فى طلب الوصية التى تريد بيعها الى أخى القذر ، واذا لم تعطنى الوصية فى الحال فسأبلغ الامر الى البوليس .
فجلس مسيو بنويك المزعوم أمام مكتبه بهدوء ، وأجاب فى لطف :
ـ هل عندك دليل على وجود هذه الوصية يا مسيو .. يا مسيو فرنون ؟
فانكمش فرنون .. كما لو كان قد صب عليه اناء ملىء بالماء المثلج ..
خمدت حماسته ، وأدرك أن لا فائدة من التهويش ، لانه لا يملك دليلا على وجود تلك الوصية .
قال : حسنا ، لن أبلغ الامر الى البوليس . ولكنى على استعداد لابتياع الوصية ، فكم تطلب ثمنا لها ؟
فقلب بارنيت أو بنويك شفته وأجاب : أظن أن الوصية لم تعد معروضة للبيع .. لقد بعث مسيو جول كينسال الى البنك تحويلا ماليا باسمى .. وأنا لا أنتظر الا اخطار البنك بضم قيمة التحويل الى حسابى الخاص ، ثم أضع الوصية بين يدى مسيو جول .
فصاح فرنون : هذا كلام فارغ .. ولكن ما دام جول لم يضع يده على الوصية بعد فاننى على استعداد لان أعطيك مثل المبلغ الذى أعطاك اياه .. ولا حاجة بك لان

ترد اليه نقوده ، لانه لا يجسر على الالتجاء الى البوليس والمحاكم والاعتراف بالاسباب التى حملته على اعائك هذه النقود .

فهز بارنيت رأسه وأجاب : لا أعتقد أن فى استطاعتى افساد الصفقة مع مسيو جول كينسال نظير مبلغ أقل من نصف مليون فرنك .

فصاح فرنون : أنت لص محتال .

فأجاب بارنيت فى هدوء : وأنت كذلك .

ـ اذن فسأدفع اليك هذ المبلغ .

ـ بهذه المناسبة يجب أن أقول لك اننى أفضل أن يكون الدفع نقدا ، فاذهب الى البنك واسحب هذا المبلغ من ودائعك وعد بأسرع ما يمكن لان مسيو جول وعد بمقابلتى هنا بعد ساعة .. فاذا شئت أن تسبقه الى ابرام هذه الصفقة فان..

ولم ينتظر فرنون حتى يتم بنويك المزعوم حديثه .

بل اختطف قبعته ، ووثب الى الخارج بأسرع مما دخل .

وابتسم بارنيت وتناول السماعة : آلو .. آلو .. دعينى أهنئك أيتها العزيزة .. يظهر أنك أتقنت دورك كل الاتقان .. كم أخذت من هذا المغفل فرنون ؟

ـ عشرة آلاف فرنك . وهاأنذا أتأهب للخروج لابتاع بها بعض الثياب والحلى ولم تكد تنقضى بضع دقائق .. حتى سمع بارنيت جرس الباب يدق ففتحه ، واذا القادم مسيو جول كينسال .

كان جول كينسال أطول من أخيه قليلا ، وأثقل منه وزنا ، وتدل مشيته وملامحه على أنه أكثر من أخيه رزانة .

سأل : ماذا عندك من الانباء يا مسيو بنويك ، هل

أخطرك البنك بأن المبلغ أضيف الى حسابك ؟

فأجاب بارنيت : كلا ، لم أخطر بذلك بعد ، ولكن صبرا ، سأتحقق من ذلك تليفونيا ..

وتناول بارنيت السماعة ، واتصل بادارة البنك بينما جلس جول كينسال جلسة المطمئن ، وهو يحمد الله على أن مسجل العقود اتصل به وانبأه بأمر الوصية قبل أن يتصل بأخيه ، وبذلك مكنه من سبق أخيه الى الاستيلاء على هذه الوثيقة الثمينة ، حتى اذا كانت فى مصلحته أذاعها ، واذا كانت ضد مصلحته أعدمها ..

ومرت بجسده رعدة حين فكر فى أنه كان من المحتم جدا أن يتصل مسجل العقود بأخيه قبل أن يتصل به .

قال بارنيت وهو يضع السماعة : لقد أضيف مبلغ التحويل الى حسابى الخاص ..

فتنفس جول كينسال الصعداء بارتياح وقال : اذن لم يبق الا أن تعطينى الوصية .

فقطب بارنيت حاجبيه وقال : ان الموقف قد طرأ عليه بعض التغيير يا مسيو جول .

ففر لون جول كينسال وهتف : ماذا تعنى ؟ كيف طرأ على الموقف بعض التغيير ؟ لقد أعطيتك المبلغ الذى طلبته. فهل تحاول ...

فقاطعه بارنيت : لقد جاء أخوك لمقابلتى ..

وهنا اسودت الدنيا فى عينى جول وصرخ : أيها المحتال القذر . هل ...

ـ صبرا لحظة .. ها هو أخوك قادم .

والواقع أن جرس الباب دق فى تلك اللحظة فنهض

بارنيت وفتح البـاب ..

ـال لـه فرنون وهو يلهث من تـأثير التعب : هوذا المبلغ الذى طلبته يا مسيو بنويك .

وأخرج من جيبه غلافا مكتظا بأوراق النقد . ووضعه بين يدى بنويك المزعوم وهو يقول : أعتقد أننى لم ابطىء.. أليس كذلك ؟ والآن .. أعطنى .. ..

وكانا قد وصلا فى هذه اللحظة الى غرفة المكتب . وأبصر فرنون بأخيه جـول فاحتبس الكلام فى حلقه .

وساد الصمت لحظة تراشق فيها الاخوان المخلصـــان بأبلغ نظرات الحقد والكراهية .

هتف جول بأخيه : أيها الكلب النحيل .

وصاح فرنون : أيها الخنزير السمين ..

وشعر الاخوان فجأة بأن بينهما شخصا ثالثا ، وأن الفرصة ليست سانحة لتبادل عبارات المجاملة والمحبـة . فحولا أنظارهما الى بارنيت ، كأنهم اينتظران قراره .

قال فرنون محدثا بارنيت : مهما يكن المبلغ الذى عرضه عليك هذا المخلوق القذر فاننى على استعداد لان أنقدك ضعفه .

فصاح جـول : وأنا على استعداد لان أدفع ثلاثة أضعاف المبلغ ، بل أربعة أضعاف بل خمسة أضعاف ، سأعطيك عشرين فى المئة من مجموع نصيبى من الميراث .

فصرخ فرنون : وأنا أعطيك ٢٥ فى المئة .. بل ٢٧ فى المئـــة .

فرفع بارنيت يده لوقف هذا المزاد وقال : صبرا لحظة ، ألا يحسن بكما قبل كل شىء أن تعلما مضمون الوصية ؟

فصاح فرنون : أنا أعلم مضمونها .

وهتف جول : وأنا كذلك .. سأعطيك ثلاثين فى المئـة من الميراث .

فابتسم بارنيت . وأخرج من جيبه غلافا ضخما مختوما بالشمع الاحمر فرفع الاختام ، وفض الغلاف وهو يقـول : يجب أن تعلما مضمون الوصية حتى لا يكون هناك سبيل للانخداع والامل الكاذب .

قال ذلك وبسط الوصية أمامهما .. فأسرعا لقـراءة مضمونهـــا .

قرآ فيها ما يلى : « أنا الموقع على هذا هنرى كينسال ، أوصى بمقتضى هذه الوثيقة بأن تنفق جميع أموالى عـلى المستشفيات والجمعيات الخيرية تحت اشراف محافظ باريس. فذلك أفضل من أن ينفقها ولداى اللذان لا يسويان قلامة ظفــر » .

وكانت الوصية مكتوبة بخط مسيو هنرى كينسال . وموقعا عليها بامضائه ... وعليها توقيعات الشهود .

وطوى بارنيت الوصية ، ووضعها فى جيبه .

ونظر فرنون الى جول . ونظ رجول الى فرنون .

ولاول مرة فى حياتهما ، اتفقت ميول الاخوين وآراؤهما ، فتحولا الى بارنيت ، وصعداه من أخمص القدم الى قمة الراس. ولكنهما لاحظا فى الوقت المناسب أنه رجل قوى العضلات. مفتــول الساعدين .

* * *

كان مسيو جان هيلر من أولئك الذين يعرفون طبائع النفس البشرية ويعلمون كيف يستثمرون هذه المعرفة ويحيلونها الى ذهب .

وفى باريس كثيرون ممن يحترفون ذات المهنة التى يحترفها مسيو جان هيلر ، ولكن الفارق بين هيلر وغيره أنه رجل يعرف كيف ينصب شباكه ، ويصطاد فى الماء العكر . ولذلك استطاع أن يجمع ثروة طائلة ، من مهنة يقنع الآخـرون بربحها الضئيل .

ومهنة مسيو جان هيلر ، هى بيع الصور الباريسية الفنيـــة .

وهذه الصور الباريسية الفنية لم تصنع طبعا ليبتاعها أهل باريس ، لان فى مقدور أهل باريس أن يلمســـوا بأيديهم الاجسام العارية البديعة التى يعرض مسيو جان هيـــلر صورهـا للبيـــع .

واذن فالغالب أن هذه الصور الباريسية الفنية انمـا صنعت ليبتاعها غير الباريسيين ، أو على الاصح ليبتاعهـا السائحون الاجانب ، الذين تستهويهم شهرة باريس .. كبلد للملاهى .. واللذائذ المستباحة .

وأدرك مسيو جان هيلر ان رواج تجارته يتوقف على الدعاية لها .. ولفت أنظار السائحين اليها بواسطة الاعلانات الرنانة المغرية .. فلم تكن تصدر جريدة أو مجلة فى فرنسا الا وبها اعلان عن الصور الباريسية الفنية التى يبيعها ..

وفعل أكثر من ذلك فراح يعلن فى الصحف الانجليزية والامريكيـــة .

ولكن من سوء حظه أنه غالى فى اعلاناته مغالاة لفتت اليـــه نظر بارنيت .

ولم يكن جان هيلر بالرجل الذى يقنع ببضع فرنكات أو شلنات أو دولارات ثمنا لطائفة من الصور يبعث بها الى أحد الزبائن .. وانما أساسها الرسائل التى يبعث الزبائن بها اليه فى طلب الصور ، وفراسته فى قراءة ما بين سطور هذه الرسائل ، ومعرفة المركز المالى والاجتماعى الذى يتمتع به صاحب الرســـالة .

وفى أحد الايام .. تسلم مسيو جان هيلر رسالة باللغة الانجليزية من شخص يدعى جيمس بارنيت . ورأى فى أعلى الورقة التى كتب عليها جيمس بارنيت اسم فندق (رويال بالاس) فى مرسيليا ، ففرك يديه سرورا وارتياحا .

كان يعلم أن فندق (رويال بالاس) هو أفخر فنـدق فى مرسيليا . ولا ينزل بـه الا أصحـاب الملايين وكـواكب السينما .. فشرع يفحص خط بارنيت . وأسلوبه وعباراته بما طبع عليه من فراسه . واستنتج من ذلك كله أن بارنيت شاب انجليزى أو استرالى غنى ، يطلب الحصول على أكبر كمية ممكنة من الصور الفنية (الفاضحة) ، والكتب المبتذلة التى يتندى لها جبين الفضيـلة .

بعث اليه فى الحال بالصور والكتب التى طلبها وارفق الصور والكتب برسالة رقيقة عبر فيها عن استعداده لاجابة كل طلب ، وعن رجائه فى أن يتكرم مستر جيمس بارنيت

المحترم بزيارة محله فى باريس .. اذا سمحت له ظروفه بالمرور بالعاصمة الفرنسية .

وقد وصلت الصور ومسيو هيلر الى مرسيليا فى قطار واحد . وحمل ساعى البريد حزمة الصور والكتب الى مستر بارنيت فى الجناح الفاخر الذى يقيم فيه بفندق (رويال بالاس) . أما مسيو جان هيلر .. فانه قصد الى مشرب الفندق ، وشرع يجمع المعلومات عن مستر بارنيت .

وكانت لمسيو هيلر أساليبه البارعة فى استقاء المعلومات.

فراح يتجاذب مع خادم المشرب أطراف الحديث . ثم أفهمه أنه يهمه لمسائل خاصة أن يعرف المزيد من أمر مستر جيمس بارنيت . فذكر له الخادم أن بارنيت هذا هو الابن الاكبر لأحدى أصحاب الملايين فى أستراليا وأنه قدم الى فرنسا لابرام بضعة عقود خاصة بتصدير الصوف الى مصانع النسيج الفرنسية .

ونقد هيلر الخادم مبلغا من المال . وطلب اليه أن يرشده الى مستر بارنيت . فأجاب الخادم : انه اعتاد الاختلاف على المشرب فى مساء كل يوم .

فقال هيلر : اذن أكون شاكرا لك اذا أرشدتنى اليه ، وساعدتنى على التعرف به .

ـ وأى اسم اذكر له ياسيدى .

ففكر هيلر لحظة ثم أجاب : قل له ان اسمى اندريه موردان . واننى من تجار المنسوجات الصوفية فى باريس.

وحول الساعة السادسة .. غادر بارنيت الجناح الخاص به فى الفندق ، وهبط الى المشرب .. فطلب قدحا من الويسكى .. واحدى الصحف الانجليزية ..

وجاء الخادم بما طلب .. ثم انحنى فوقه باحترام وهمس فى أذنيه كلاما .. فحول بارنيت رأسه ، ونظر الى الطاولة التى جلس عندها هيلر .. فابتسم هذا وحياه .. وأسرع اليـــه .

قال بارنيت بالانجليزية :

ـ يسرنى أن أعرفك يامسيو موردان .. نحن اذن زميلان فى صناعة واحدة .

فضحك موردان المزعوم وأجاب :

ـ نعم .. والفارق أنكم تبيعون صوف الاغنام ، أما نحن فنبيع المنسوجات الصوفية .

وقدم بارنيت الى موردان قدحا من الويسكى .

كان قد رأى الرجل قبل أن يفكر فى (تعامل) معه .. فعرفه فى الحال ، وأدرك غرضه .. ومهد سبيل الوصول الى هذا الغرض .

ودار الحديث بين الرجلين حول تجارة الصوف ، ورغبة موردان فى استيراد الصوف الخام لحسابه الخاص.. ثم انتقل الحديث بينهما على رنين الكؤوس الى الحياة فى مرسيليا .. وفرنسا .. وباريس .. والى الفنادق الفرنسية .. والنساء الفرنسيات .

وجد موردان أن ساعة العمل قد حانت ، فقال وهو يبتسم :

ـ أليس فى نيتك أن تزور باريس ؟

فتنهد بارنيت متحسرا وقال : آه .. ليتنى أستطيع.

فدهش موردان أو تظاهر بالدهشة وهتف : ليتك تستطيع ؟ وما الذى يمنعك ؟

فابتسم بارنيت ابتسامة حزينة وقال بمرارة : آه .. لو علم أبى أننى ذهبت الى باريس فانه لايتردد فى طردى وحرمانى من ميراثه ، انه يعتقد أن باريس هى الباب الموصل الى جهنم .. وهو يعلم أن برنامجى لايتضمن زيارة هذه المدينة البديعة .. وأننى سأقضى فى مرسيليا أسبوعا فقط .. ثم أواصل رحلتى الى انجلترا للتعاقد مع بعض مصانعها .

وصمت مستر بارنيت لحظة ثم استطرد : ان أبى رجل رجعى من الطراز الاول يامسيو موردان .. وقد حدث منذ خمسة أعوام انه رأى شقيقى الاصغر يتحدث فى الشارع مع احدى الممثلات .. فطرده من المنزل فورا .. وحرمه من الميراث .. ولم أسمعه يذكر اسمه من ذلك العهد .

نعم .. ان أبى رجل قاسى القلب شديد التمسك بأهداب الفضيلة التى لم يعد لها وجود الا فى الرؤوس الجوفاء .. الشبيهة برأسه .

قال ذلك وازدرد محتويات كأسه وملأ الكأس من جديد.

أما موردان فانه هز رأسه وقال : هذا أمر يؤسف له.. نعم .. من المحزن أن يبحر الانسان من أستراليا الى أوربا ، ويقيم فى مرسيليا ولا يجسر على زيارة باريس والاستمتاع بنساء باريس وملاهى باريس .

فقال بارنيت مرددا كلام محدثه :

ـ نعم . نساء باريس . وملاهى باريس . لقد وقع نظرى على بعض صور فوتوغرافية تبين مبلغ عناية الباريسيات باثارة أخبث الغرائز فى نفوس الرجال . ولكن

مما لاشك فيه أن أصول هذه الصور أبدع بكثير من الصور ذاتها .

فهتف موردان :

ـ طبعا .. طبعا .. وبهذه المناسبة لابد أنك سمعت باسم جان هيلر ! انه أعظم تجار الصور الفوتوغرافية فى باريس . وله عملاء فى جميع أنحاء الكرة الارضية .

فقال بارنيت فى صراحة وبلهجة الثمل النشوان : سأبوح لك بسر أيها الصديق العزيز لقد قرأت اسم هيلر هذا فى احدى الصحف ، فكتبت اليه أطلب مجموعة من الصور والكتب . وجاءتنى الصور اليوم منذ بضع ساعات . آه. ويالها من صور .

ونظر الى محدثه من طرف عينه نظرة ذات معنى .

فضحك موردان وهتف :

ـ يالك من مسكين ؟ هل أعجبتك الصور التى بعث بها اليك ؟ اذن فاعلم أنه لايرسل الا أبسط أنواع الصور ، أما الصور الباريسية الفنية الصحيحة .. فانه يبيعها يدا بيد .. فى محله بشارع لافاييت . بل هو يفعل أكثر من ذلك..

وهنا انحنى موردان الى الامام .. وقال فى همس :

ـ انه يقدم الى الزائرين الاغنياء أصول هذه الصور.

ففتح بارنيت عينيه فى دهشة وهتف :

ـ أصول هذه الصور ؟ تعنى الفتيات والنساء اللائى يبيع صورهن الفوتوغرافية ؟

ـ نعـم ..   ـ ماذا تقـول ؟

ونظر بارنيت الى محدثه كأنه لايصدق أذنيه .

فقـال موردان :

- يجب أن تفكر فى السفر الى باريس .. وزيارة الجناح الفاخر الذى اتخذه هيلر مقرا له . انه قبلة طلاب اللهو الصحيح من أهل الطبقة الراقية . وجان هيلر من أصدقائى . ولست أجد مانعا من الذهاب معك الى مقره ..

حاول أن تذهب ، وكن مطمئنا ، فمن المستحيل أن يعلم أبوك أنك ذهبت الى باريس . ان فى نيتى العودة الى باريس غدا . فاذا شئت فاننا نسافر معا .

ولم يكن بارنيت بحاجة الى المزيد من الاغراء والاقتناع .. فقد كان الاقتناع والرضوخ للاغراء جزءا من خطته ..

ووصل الاثنان معا الى باريس فى اليوم التالى . وتناولا طعام الغداء فى أحد المطاعم الفاخرة . وكان كل منهما ينفق فى بذخ وبلا حساب .

وفى المساء قصدا الى محل جان هيلر .

وقد تبين بارنيت فى الحال أن موردان المزعوم كان معروفا فى محل هيلر حق المعرفة . لان أحد الموظفين رحب به واستقبله بكل اكرام واحترام .

وقال الموظف ان مسيو هيلر سافر فى الصباح الى لندن بطريق الجو لامر يتعلق بأعماله . وأفهمهما أنهما يستطيعان اعتبار المكان ملكا لهما .

وطاف موردان ببارنيت عدة غرف وقد وضعت على جدرانها أبشع مجموعة من الصور الباريسية . وكان بارنيت يقف أمام كل صورة وهو مدهوش مشدوه .. ولا ينقل بصره عن صورة حتى تقع عيناه على صورة أبشع منها .

وانتقل موردان بصاحبه من قسم الصور الفوتوغرافية الى عالم الحقائق والمرئيات ، الى الجناح الخاص الذى يرى

فيه الناظر صاحبات تلك الصور . وهن ، كما قال موردان ، من أبرز نساء المجتمع ، ومن طالبات اللهو (البرىء) .

وعاد بارنيت الى مرسيليا فى صباح اليوم التالى وهو مقتنع فيما بينه وبين نفسه أن جان هيلر أقذر حيوان فى باريس القذرة .

وكان الرجلان قد افترقا فى باريس ، بعد أن عبر بارنيت عن شكره لموردان ، وأمله فى أن يتمكن يوما ما من أن يرحب به فى (أستراليا) .

ولكن بارنيت كان واثقا أن ذلك لن يكون آخر عهده بموردان ، أو على الاصح جان هيلر . كان يعتقد أنه سيراه قبل انقضاء بضعة أيام ، ولكنه لم يكن يتوقع أن يراه فى اليوم التالى بالذات .

واذن فقد كان الشقى يريد التعجيل بالصفقة .

تظاهر بارنيت بالدهشة الشديدة حين وقع بصره على موردان فى الجناح الخاص به فى فندق (رويال بالاس) .. وأسرع الى استقباله وهو يصيح :

- أهلا وسهلا بالصديق العزيز .. أية ريح طيبة عادت بك الى مرسيليا ؟

وشد على يده بحرارة .. خلع قفازه فى بطء وهدوء وقال بلهجة رجل الاعمال :

- أصغ الى يا بارنيت .. ان هناك أمرا أرى من الافضل أن تعلمه بأسرع ما يمكن .

فقال بارنيت وعلى شفتيه أعذب ابتسامة :

- تكلم يا عزيزى موردان .. كلى آذان للاصغاء اليك .

فقال موردان فى هدوء : اننى لم أتقدم اليك بصفتى

الحقيقية ، فأنا جان هيلر .

فحملق بارنيت فى وجه محدثه ، ثم ابتسم ابتسامة عريضة وهتف :

ـ يا لك من مداعب ظريف يا جان .. لقد توهمت حقا أنك من تجار المنسوجات الصوفية .. واذن فالمحل الذى زرناه أمس الاول محلك ؟ نعم .

فقهقه بارنيت ضاحكا ببساطة وسذاجة .. وهم بابداء رأيه فى تلك الدعابة الطريفة ولكن هيلر قاطعه بقوله :

ـ ان وقتى ضيق يا عزيزى بارنيت ولا يسمح لى بسماع آرائك ، فدعنا نتحدث فى الشئون العملية .. ان معى صورة فوتوغرافية لك التقطت فى محلى أول أمس .

فنظر بارنيت الى محدثه فى دهشة .. وحيره كلام صاحبه ولهجته .

هتف : صورة فوتوغرافية لى ؟

فأخرج هيلر من جيبه صورة فوتوغرافية قدمها الى بارنيت .. فتناولها هذا وحملق فيها .

لم يكن هناك شك فى أنها صورته الفوتوغرافية . وفى أن الصورة تمثله وهو ممسك بين يديه بفتاة حسناء رشيقة نصف عارية .

وعاد بذاكرته الى تلك الزيارة ... واستعرض كل ما اتفق له فى محل هيلر بباريس ... وتذكر أن احدى الفتيات اللائى قابلهن هناك صعدت فوق مقعد لتأتيه بصورة فوتوغرافية مثبتة على الجدار ، فاهتز المقعد تحتها وأوشكت أن تسقط فأسرع اليها ليسندها بيديه ..

واذن فقد التقط تلك الصورة فى ذات اللحظة التى احتوى

فيها الفتاة بين ساعديه ليمنعها من السقوط ؟

كانت حيلة جان هيلر فى غاية البراعة .

هتف بارنيت : ولكن متى التقطت هذه الصورة ؟

فاجاب هيلر ببرود : لاشك أنك تذكر ذلك .

ـ ولكن .. ولكن ...

وتظاهر بارنيت بالتفكير ، ثم هتف :

ـ لقد حدث ذلك قضاء وقدرا . ولم أكن أقصد الى احتواء الفتاة بين ساعدى .

فأجاب هيلر : أعلم ذلك . ولكن لا أحد سوانا يعلم . وهذه الصورة اذا نشرت فى صحف أستراليا تحت عنوان (ابن أحد أصحاب الملايين فى باريس) فلا شك أنها تحدث ضجة هائلة ..

فابتلع بارنيت لعابه بصوت مسموع وغمغم : ولكن فى استطاعتى أن أوضح الحقيقة .

ـ وهل يصدقك أبوك مهما أوضحت ؟ ! وهل تستطيع أن تبرز وجودك فى باريس ، وفى المكان الذى التقطت فيه هذه الصورة ؟

فكر فى الموقف مليا يا بارنيت .. اننى جئتك الأن لاعرض عليك شراء أصل هذه الصورة .. أعنى الزجاجة السلبية التى يمكن استخدامها فى طبع آلاف من أمثال هذه الصورة .

فصاح بارنيت : ولكن هذه .... جريمة .. جريمة احتيال وابتزاز .

ـ لا يهمنى أن تصف عملى بما شئت من أوصاف .

أنت الآن أمام أمر واقع والثمن الذى أطلبه لاخراجك من هذه الورطة هو مئة ألف فرنك .

فقطب بارنيت حاجبيه وهتف : خذ هذا الثمن .

ولكمه على حين غرة لكمة ألقت به بعيدا ، ثم شمر عن ساعديه وصاح :

– قم وانهض ، لتقبض باقى الثمن أيها المحتال الاثيم .

فبصق هيلر سنا انكسرت من تأثير اللكمة ، واحمرت عيناه غضبا .. ولكنه لم ينهض من مكانه .

قال بلهجة تنم عن الحقد : هذه اللكمة قد رفعت الثمن الى مئتى ألف فرنك .. .

ان هذا السلوك لا يفيدك أيها الغر الاحمق .. ولن يضع يدك على أصل الصورة ما لم تدفع الثمن ..

فقال بارنيت ببرود : بحسبى أننى ألقيت عليك هذا الدرس .. ولو كان جسدك القذر يحتمل المزيد من اللكمات لكلتها بغير حساب .

وأمسك بساعد هيلر ، ورفعه بيده كما يرفع طفلا وقذف به الى ركن آخـــر .

ثم تهالك على أحد المقاعد وأخرج من جيبه دفتر التحويلات المالية . وفكر لحظة ، ثم كتب تحويلا ووقع عليه بامضائه بعناية شـــديدة .

وعلى الرغم من أن هيلر لم يحول بصره عن بارنيت وهو يفعل ذلك .. الا أنه لم يلاحظ أنه قد كتب التحويل بيـده اليسرى .

وألقى بارنيت بالتحويل فى وجه هيلر .. وصاح :

– اليك الثمن أيها الكلب . والآن .. اغرب عن وجهى .

فاختطف هيلر التحويل ووضع قبعته على رأسه .. ولاذ بالفرار .. وهو يتمتم بكلام غير مفهوم .

وتمهل هيلر فى أحد أروقة الفندق وأصلح من ثيابـه ما تهدل وبصق دما .

سوف يدفع بارنيت ثمن هذه اللطمة غاليا .

انه لم يحصل على أصل الصورة بعد . ومتى انقضى يوم أو يومان فانه – أى هيلر – يستطيع أن يطلب مبلغا آخـر من المال ويكون الطلب فى هذه المرة بواسطة التليفون .

نعم ، ما دام أصـل الصورة عنده ففى امكانه أن يعصر ضحيته ، ويبتز منه ما شاء من مال حتى يفلسه أو يدفعه الى الانتحار ..

نظر الى التحويل وقرأ ما كتب عليه .

كان التحويل على فرع بنك فرنسا فى مرسيليا ، والمبلغ يدفع لحامله وقصد هيلر توا الى البنك ، وقدم التحويل ، وانتظر .

انتظر نصف ساعة .. ثم ساعة .

وأخيرا دعاه موظف الخزانة ، وطلب اليه فى أدب أن يتكرم بمقابلة مدير البنك فى مكتبه ، لان ودائع مســتر بارنيت فى البنك لا تكفى لدفع قيمة التحويل .

ولشد ما كانت دهشة هيلر ، عندما دخل غرفة مدير البنك ورأى بارنيت جالسا هناك .

جمد الرجل فى مكانه ، واستولت عليه رغبة شديدة فى أن يلوذ بالفرار .

ولكنه عاد فأدرك أن الفرار لايجدى ، لان البنك حافل بالخدم والموظفين .

وأدرك فضلا عن ذلك أنه لا يوجد ثمة ما يخشـــاه ، فالتحويل قد كتب وأمضى أمامه . واذا لم تكن ودائـــع بارنيت فى البنك تكفى لدفع المبلغ المطلوب فالذنب فى ذلك يكون ذنب بارنيت ، والقصاص يقع عليه وحده .

قال مدير البنك :

ـ تفضل بالدخول يا مسيو هيلر ، هل أنت الذى قدمت هذا التحويل لصرفه والحصول على قيمته ؟

فأجاب بجرأة دون أن ينظر الى بارنيت :

ـ نعـــم .

ـ ان التحويل لم يصرف ، ليس لان مستر بارنيت المحترم لا يملك من الودائع ما فيه الكفاية ، وانما لان مستر بارنيت اتصل بنا فى الوقت المناسب ، وأنبأنا بأن دفتـــر تحويلاته قد سرق منه ، وطلب الينا أن نلقى القبض عـلى

أى شخص يقدم تحويلا باسمه .

فأجاب هيلر بصوت مرتفع :

ـ هذا عجيب ، لاشك أن هناك خطأ ، فمستر بارنيت قد كتب لى هذا التحويل بخطه ، ووقع عليه بامضائه .

فقال مدير البنك بصوت أجش :

ـ اننى أعرف خط مستر بارنيت وتوقيعه . وهذا الخط ليس خطه والتوقيع ليس توقيعه ..

فزاغ بصر هيلر ، والتصق لسانه فى حلقه .

كان قد عمل حساب كل شىء الا هذا .

وراقبه بارنيت بحدة . ثم ابتسم . وتحول الى مدير البنك وقـال :

ـ لا شك أن الخط والامضاء مزوران . ولكنى أعرف هذا الرجل ولا أريد أن أقسو عليه . ولذلك طلبت اليك تليفونيا أن تحجزه ولا تسلمه الى رجال البوليس .

انه ينتمى الى احدى الاسر الكريمة . وقد حاول ذووه اصلاحه فلم يجـد فيه اصلاح ، فدعنى أجرب حظى معه . سأصطحبه معى الى الفندق لاحصل منه على اقرار كتابى بألا يعود الى مثل ما فعل . واذا رفض فاننى أعيده اليـكم لتتخذوا معه ما ترون من الاجراءات .

وانصرف بارنيت وهيلر .

وكان هذا الاخير كأنه فى حلم .

لم يحدث له قط أن وقع فى مثل هذه الورطة ، أو سقط فى الشباك التى اعتاد أن ينصبها لضحاياه .

أغلق بارنيت باب الغرفة ، ونظر الى هلير فى شماتة وسخرية وقال :

– والآن ما قولك فى هذا ياعزيزى موردان ؟ . . انك وقعت فى ورطة .. ولكنى على استعداد لانقاذك .. ثمن ..

ففتح هيلر فمه فى ذهول ، وهتف :

– ولكن هذه جريمة .. جريمة احتيال .. وابتزاز .

فأجاب بارنيت فى هـدوء :

– لك أن تصف عملى بما شئت من أوصاف ، اننى أريد ٣٠٠ ألف فرنك لـكى أنسى أنك زورت توقيعى ، فمـا قولك ؟

فصاح هيلر :

– انك لن تنال منى فرنكا واحدا . ومتى نشرت صورتك الفوتوغرافية فى ....

– ليتك تنشرها لكي أضحك ، أستغرق فى الضحك .

ان هناك حقيقة من مصلحتك أن تعرفها أيها الاخ المحترم ، وهى أننى لم أر أستراليا قط ، وأبى ليس مليونيرا أو أستراليا . وفى استطاعتك أن تبعث بصورتى الى جميع الصحف فى جميع القارات فذلك لايهمنى .

والآن ، اختر لنفسك ما يحلو : ثلاثمئة ألف فرنك ، أو السجن .

– ولكنى لا أملك كل هذا المبلغ .

– اننى أمهلك أسبوعا ، ولا يهمنى أن تبيع محلك القذر وتعلن افلاسك ..

ويهمنى بهذه المناسبة أن تعلم أن التزوير ليس التهمة الوحيدة التى أستطيع توجيهها اليك . وأصغ .....

وأدار بارنيت حاكيا صغيرا (فونوغرافا) كان على طاولة قريبة ، فردد الحاكى العبارات التالية .

(دعنا نتحدث الآ فى الشؤون العملية . ان معى صورة فوتوغرافية لك التقطت فى محلى أول أمس) .

وهى ذات العبارات التى نطق بها هيلر عندما جـاء للمطالبة بثمن الصورة ، وكان بارنيت قـد أعـد جهـاز (الديكتافون) لالتقاط مايدور فى الغرفة من حديث .

فر لون هيلر عندما عرف صوته فى العبارات التى رددها الحاكى .

قال بارنيت :

ـ هذه الاسطوانة دليل مادى يثبت عليك محاولة ابتزاز المال بالتهديد ، وهى جريمة يعاقب عليها القانون كما يعاقب على جريمة التزوير .

فأطرق هيلر برأسه ، ثم تمتم بصوت المذبوح :

ـ اذن ... اذن أرجو أن تمهلنى أسبوعا .

ومن تحصيل الحاصل أن نذكر أن الرجل دفع المبلغ المطلوب عند انقضاء تلك المهلة .

* * *

(تمت)